المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب

للمستشرق الهولندي - رينهارت دوزي

ترجمة الدكتور أكرم فاضل مدير الفنون والثقافة الشعبية
وزارة الاعلام / بغداد /

العبـــاءة ، العبـــاة ، العبايـــة

تشير هذه الكلمة الى نوع ملحفـــة قصيـــرة ومفتوحة من الجهة الامامية ، وهي لا اكمام لها ولكن تستحدث فيها تقويرات لامرار الذراعين . والعـــباءة هي الثوب الخاص بالبدو فى جميع الاوقات على وجه التقريب . ولنشرع بسورية . يقول داندیني فى معرض حديثه عن سكان طرابلس سورية (رحلة من جبـــل لبنان ، ص 45 ، 46) : انهم يلبسون فوق الجبـــة سترة فوقانية تدعـــى سبـــــان (Spain او العبا (1) Dandini, voyage du Mont Liban ويسمى (سبان) حين يكون الجوخ من الصـــــوف الرقيق ، وحين يكون متقن الصنع ونظيفا كتلـــــك الاردية المستعملة فى ايطاليا . لانهم فى ذلك القطر لا يملكون البراعة التى نملكها نحن والعباءة منسوجـــة نسيجا اغلظ ، وهي من الصوف المبروم المخطـــط الموزع على سطور بيضاء وسوداء . ونحن نقرا لدى روجيه (الارض المقدسة ، ص 205) Roger, la Terre Sainte « ان الجنود البسطاء او الفلاحين ، من بين البدو ، يلبسـون عباءة هـــي رداء مفتوح جهته الامامية مرقطة بالابيـــض والاســـــود وبالالوان الاخرى » . وبعد ذلك (ص 426) : « ان رجال الدين (المارونيين) لا يرتدون القمصان مطلقا ولا ما يماثلها مما نسميه (القانسون او سراويـــلات الرهبان cannessens) ولكنهم يلبسون رداعيـــن يسمونهما (عبلا) abla) ، ولهما لون داخن ، وهما منسوجان من شعر المعزى ، مع قبع اسود من الصوف الرديء . وينبغي ولا ريب احلال كلمة عبا abba محل كلمة عبلا abla فى هذا النص . ويشرح دارفيو الموضوع فى كتابـــه (رحلـــة مـــن فلسطين الى الامير الكبير ، ص 208) (2) علـــى هذه الصورة D'Arvieux, voyage dans la Palestine vers le Grand Emir وعندهم ايضا عباءات مـــن الجوخ الاحمر والاخضر او من الالوان الاخرى مقصبة بالذهب والفضة من جهة الاكتاف ومطرزة بازهـــار والعرى والازرار من الجهة الامامية . وتؤلف هـــــذه العباءات بتخييط لفقين من الجوخ بكل ما فيه مـــــن سعة ، كما لو كانوا يريدون ان يعملوا منه كيسا ثم يشقون المقدم ليوضع على الاكتاف ، بعد تقويـــــر الموضع الذي يدور حول الرقبة ، ويدعون فتحتين فى الزوايا لامرار الذراعين وهذا الثوب معمول بصورة خاصة ليلبس لدى ركوب الخيل » . وبعد ذلـــك (ص 210 ، 211) يقول المؤلف نفسه متحدثا عن السيدات لدى البدو ، « ان ثيابهن الداخلية هـــي عباءات من الاطلس او من القطيفة كاردية الرجال ، وهي تصنع احيانا من الاسلاك الذهبية (الزركش) الدقيقة المحوكة مع خيوط اخرى ، وهكذا تتكون منها الثياب الفوقانية » . وفى موضع آخر (ص 212)

---

1) يجب علي ان اعترف بانني اجهل كيفية كتابـــة هذه الكلمة سواء بالعربية او بالتركية .
2) ان عبارات دارفيو ونيبور التي نجدها فى هذه المقالة ، قد سبق ان اشار اليها كاترمير فى كتابـــه (تاريخ السلاطين المماليك، ج 1، ق 2 ص 73)

يقول دارفيو فى كلامه عن عوام الرجال : « ان كسوة احدهم هي عباءة من البركان المخطط المرقط بالابيض والاسود » .

وترتدي عوام النساء كذلك عباءة فوق القميص. (المرجع السابق ، ص 213) .

والعباءة التي كان يرتديها الرحالة نفسه كانت « مشغولة من نوع من انواع البركان المرقط بالابيض والاسود ، مع ازهار صغيرة منسوجة من الذهب » . (المصدر السابق ، ص 4) . ويتحدث بركهارت كذلك فى كتابه ملاحظات حول الوهابيين ، ص 27
(Burckhardt, Notices on the Bedouinsand Wahabys

عن الكساء المسمى عباءة ، ويؤكد انها ثوب غليظ مخطط بخيوط بيضاء ودكناء » . ويضيف قائلا : « ان عباءات بغداد هي انفس العباء . — ولكنني لم اشهد قط عباءات سوداء لدى قبيلة عنزة ، ولكنها كثيرة الوجود لدى شيوخ اهل الشمال . وكانت فى بعض الاحيان موشاة بالذهب وقد يصل سعرها حينئذ الى عشرة جنيهات استرلينية » .

ويقول فون ريشتر فى كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ص 21) (Von Richter, wallafahrten in Morgenlande متحدثا عن بدو سورية : « تتشابه عباء الجنسين لديهم » . ويعتبر الرحالة العربي الاندلسي ابن جبير (الرحلة ، خ : 32 ، ص 73) العباءات من بين ملابس سكان جيرة العرب على وجه التخصيص. ويقرر نيبور فى كتابه (رحلة الى الجزيرة العربية ، ص 261) Niebuhr, Beschrijving van Arabie ما يلي : « فى الصقع الغربي من جزيرة العرب لم أجد من يلبس الكساء الفوقاني المسمى عباءة abba اللهم الا التجار اثناء السفر. ولكن فى الصقع الشرقي منها ، لاسيما فى ولاية الاحساء Lachsa تؤلف العباءة اللباس الاعتيادي للرجال والنساء على حد سواء » . واذ يتحدث نيبور عن هذا القطر (ص 322) يصف العباءة على هذه الشاكلة : « ان ما يدعي عباءة هو ثوب فوقاني فضفاض لا اكمام له — ونستطيع تصور هذا اللباس بسهولة باستحداث فتحة فى اعلى كيس حنطة لامرار الراس ، وباحداث فتحتين اخريين على الجانبين لايلاج الذراعين ، واخيرا بشق الكيس من أعلى الى اسفل . ولقد رايت فى الزبير او البصرة القديمة خياطا اعمى يكسب قوته من مهنته ، دون أن يكون قد ابصر النور . اذن فعمل العباءة لا يحتاج الى فن خطير » . وعن هذا اللباس نفسه يتحدث علي بيك فى (الاسفار ، ج 2 ، ص 108) حين يقول : « ان العربي البدوي يرتدي عادة فوق ثوبه كساء فضفاضا لا اكمام له ، وهو مشكل من نسيج من الصوف الغليظ ، او من الجوخ الرقيق ، وجانبا هذا الكساء متساويان ويكونان عادة مرقطين باللون الادكن مرة وباللون الابيض اخرى ، وكل خط من هذه الخطوط يبلغ عرضه قدما واحدة » . وهذا اللباس شائع الاستعمال فى الاقطار الشرقية . واننى لا اتردد فى حسبان الكساء الذي تحدث عنه راوولف فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 190)
Rauwolf, Aigentliche beschreibung der Raysz

حين يقول عن البدو الذين اعتقد انهم بنو سعيد : « انهم يرتدون عادة اكسية صغيرة من قماش غليظ ، وهي مفتوحة للغاية من الجهة الامامية ، ومحرومة من الاكمام وطويلة الى حد كبير بحيث تبلغ الركب. وقد لبست هذا الرداء بنفسي اثناء السفر وكان مخططا بخطوط بيضاء وسوداء » . ونحن نقرأ فى كتاب اوليفييه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس . ج 3 ، ص 221) ان رجال أورفه « يرتدون اثناء السفر عباءات شاملة السواد او ذات خطوط طولية بيضاء وسوداء ، واسعة او ضيقة تشبه كثيرا من ناحية الشكل حلة القداس الخارجية للقس الكاثوليك» . (وبعد ذلك، ص 222) : «تعمل العباءات من الصوف أو من الصوف وشعر المعزي . والعباءة الساذجة منها تباع بعشرة قروش او باثنى عشر قرشا اسبانيا . اما النوع النفيس فيصل سعر العباءة منه الى خمسين قرشا » . واذ يتحدث بكنكهام (رحلات فى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 343) فانه يسطر الكلمات التالية :
Buckingham (Travels in Mesopotamia)

« ان الناس هنا من اي طبقة كانوا يلبسون العباءة المحوكة من الصوف الثقيل فوق ثيابهم الفوقانية » . ويقول فريزر (رحلات فى كردستان وبلاد ما بين النهرين الخ . ص 86) فى معرض حديثه عن الاكراد:
(Fraser, Travels in Koordistan, Mesopotamia)

« انهم يلبسون فوق ثيابهم جميعها ما يشبه الملحفة وهي العباءة المصنوعة من وبر البعير ذات اللون الابيض او الاسود او ذات الخطوط البيضاء والدكناء والسوداء ، وهي مزررة من جهة الصدر وترفرف من الخلف بصورة اخاذة تستحق التصوير » . وفى موضع آخر (ج 1 ، ص 228) يقول الرحالة نفسه عن

عرب بغداد ، البدو منهم والحضر : « انهم يلبسون عباءة او شملة ذات هيئة في منتهى الغرابة . فهذه العباءة واسعة وبغير كمين ، ولكنها مزودة بثقوب لامرار الذراعين ، وهي مصنوعة من الصوف المغزول ومحبوكة حبكا جيدا وفيها خطوط عمودية دكناء وبيضاء ، ولكنها تكون احيانا سوداء وبيضاء . وهذا الكساء هو اللباس الوطني وهو الرداء العربي باستحقاق وجدارة » . ويذكر بكنكهام كذلك في كتابه (رحلات في بلاد ما بين النهرين ، ج 2 ، ص 195) : « العباءة او الرداء الواسع الصوفي « الذي راى الاعراب البدو يرتدونه في بغداد » . وترتدي النساء البغداديات ايضا هذا الكساء . (فريزر الموجع السابق ، ج 1 ، ص 287) راجع كذلك ج 1 ، ص 340 ، ج 2 ، ص 67 و 76) . ونحن نجد هذا الرداء المسمى عباءة في مصر ايضا ، ولكن على وجه التخصيص لدى بدو هذا القطر . فاننا نقرا في الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 419) :

(Mille et une Nuits ; éd. Macnaghten)

« فقال البدوي للتاجر : وما يصلح لهذه الكورة (العاهرة) من القماش والله ان هذه العباءة التي هي ملفوفة فيها كثيرة عليها » . وجاء في كتاب كوبان (درع اوروبا ، ص 325) :

Coppin, Le Bouclier de l'Europe

« اما الاغنياء من البدو فلهم فوق ذلك عباءة تشابه ما ندعوه لدينا كازاك casaque او فيست veste وتكون سوداء » . وورد في هذا الكتاب (يوميات رحلات مونكوني ، ج 1 ، ص 313

Journal des voyages de Monsieur de Monconys

« هجم بدوي على عباءتي ليسلبني اياها » . ونطلع في رحلة بيترو دلا فاله ، ج 1 ص 670)

Pietro Della Valle

« ان البدو يرتدون احيانا فوق قمصانهم رداءا فوقانيا من الصوف الغليظ ، ولا شيء سوى ذلك. وهذا الرداء مشقوق تماما من الجهة الامامية ولا اكمام له . ويسميه العرب العباءة ، وهم يلبسون هذه العباءة ، وخصوصا اولئك الذين يريدون ان يظهروا بمظهر الاناقة والوجاهة وهي مزررة من طرف الصدر على هيئة الفيرايوليو Ferauolo (3) ونساء البدو يرتدين العباء ايضا ، ولكن عباءهن كثيفة وضيقة (المرجع السابق ، ص 739) . ويذكر ستيفنس في كتابه (حوادث السفر في مصر ، الخ ، ج 1 ، ص 225) :

(Stephens, Incidents of Travel in Egypte

« عباءة من وبر الجمل الاسود التي كان يرتديها احد تجار القاهرة . ولكن العباية التي تلبس الآن في مصر لم تعد العباءة القديمة للجزيرة العربية وسورية والجزيرة والعراق العربي ، فقد تلقت كمين . وهي تتدلى حتى القدمين . ومع ذلك فان النسيج المصنوعة منه قد ظل هو نفسه ، وان الرجال الموسرين يلبسون العباءة حين اشتداد البرد ، وحتى ايامنا هذه بقي هذا الكساء يعمل من الصوف الاسود اللون . ويرتدي الفقراء العباءة ايضا اثناء هجوم القر . ولكن القماش المصنوعة منه العباءة اغلظ . واحيانا بدلا ان تكون سوداء تكون مرقطة بخطوط عريضة دكناء وبيضاء او زرقاء وبيضاء ، ولكن هذه الحالة شذوذ في القاعدة الاصلية ، فان الخطوط بصورة عامة تكون دكناء وبيضاء ، كما هي في الاقطار الاخرى . (انظر لين المصريون المحدثون ، ج 1 ، 41 ، 45 ، والصورة اليمني ، ص 44) . Lane, Modern Egyptians

وكلمة عباءة غير مجهولة في بلاد البربر ، فهي تشير الى بر كان غليظ ثقيل . (راجع القبطان ليون ، رحلات الى افريقيا الشمالية ، ص 39 ،

Le capitaine Lyon, Travels in Northern Africa

وانظر هورنمان ، ص 85 ، في كتابه حول رحلة من القاهرة الى مرزوق ، ص 85

Hornemann, tagebuch seiner Reise von Caire nach Murzuck

وسأحملكم ايضا على ملاحظة انطبقة الدراويش في بغداد ترتدي العباءة البيضاء (فريزر ، رحلات في كردستان ، الخ ، ج 1 ، ص 302) .

(Fraser, Travels in Koordistan, etc., tome, pag. 302)

المعجـــر

يبدو ان هذه الكلمة تشير الى نوع من تيجان الراس وعماراته . فنحن نقرا للفتح بن خاقان (في كتابي : تاريخ بني عباد ، ص 45

(Historia Abbadidarum

« ... ولها بالتداعي تلفع واعتجار »

ومعنى الجملة ان تلك البنايات قد تلفعت بانقاضها تلفعا تاما ، كما تتلفع المراة من قدميها الى راسها بعباءتها وعمارتها » .

3) كساء يستعمل في نابولي . (راجع كلمة فرجية)

العـــرقيـــــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي تشير فى مصر كما يرى لين (المصريـــون المحدثون ، ج 1 ، ص 41) الى نفس الشيء الـذي تشير اليه كلمة طاقية ، اي تدل على كلوتة من القطن تمس الراس مسا مباشرا . وهي توضـــع تحـــت الطربوش الذي يلف بعد ذلك بالعمامة . وعلى هـــذه الصورة تتشكل العمامة . ويرى بركهارت (ملاحظات على البدو الوهابيين ، ص 27) ان كلمة عرقيـــة (ويكتبها هذا الرحال اركيه arkye) تشيـــر فى سورية الى ما تشير اليه الكلوتة . ويرى كانيـــس (النحو ، ص 12) ان كلمة عرقية تشير الى طاقية صغيرة من الكتان (birreta de lienzo) . ولكن هذه الكلمة كانت تشير فى العصور الاقدم فى سورية الى نوع آخر من نيجان الراس مختلف كل الاختلاف . فنحن نقرا فى كتاب روجيه (الارض المقدسة ، ص 257) : « انها لابسة فى راسها تاج اسقف (قلنسوة ، برطلا) من الفضة يسمونه عرقية ، وهو مصنوع على هيئة قالب سكر » . وفى موضع آخر (ص 204) : « ان عرائس الامراء البدو يضعن على رؤوسهن تاجا من الفضة معمولا على هيئة قالب سكر ، وهن يحطنه بخمار حريري اسود مطرز باللآلىء ومرصع بالاحجار الكريمـــة » .

المعـــــرقـــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي تشير ، حسب تقرير بركهارت (ملاحظات على البدو الوهابيين ، ص 27) الى شبه كاوتـــة يلبسها البدو ، وهي نفس العرقية السورية ، ولكـــن المعرقة nearaka (هكذا يكتبها بركهـــارت) معمولة من وبر الجمل . ويقول فريزر كذلك (رحلات فى كردستان وبلاد ما بين النهريـــن الـــخ ، ج 1 ، ص 328) ان معظم عرب بغداد يلبسون تحت الكوفية كلوتة تشبه شعرية غالية
(a welsh wig) perruque gauloise (4)
مشغولة من وبر البعير (5)

العـــــري

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي تشير ، حسب راي لين الى (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 44) «الى قميص طويل واسع، او تدل على ثـــوب مـــن الكتـــان الازرق او مـــن القطن من نفس اللون ، وهو مفتوح من العنق الى الحزام وله كمان كبيران » . ويلبس فقراء الناس هذا الثوب . ولابد ان كلمات ويتمان Wittman فى كتابـــه « اسفار فى تركيا الآسيوية وسورية ومصـــر » ص 373) تشير الى هذا اللباس وتنطبق عليه ، اذ يقول: « ينحصر لباس الرجال المنسوبين الى الطبقة الدنيا من العرب فى قميص من القطن الازرق » . وكذلـــك كلمات تيرنر Turner فى كتابه « يوميات سفرة فى المشرق .
« Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypt, page 373 »

فهو يقول : « يلبس عوام الرجال عمامـــة وقميصا من القطن الازرق ، وهو الزي الكامل للشعب الذي لا يرتدي ثيابا ولا سروالا ولا حذاء ولا جوربا ». وترتدي نساء مصر كذلك هذا النوع من الدراريع ، ولكن دراريعهن ليست لها سعة وفضفضة اخواتهـــا التي يرتديها الرجال ، وهي تتدلى حتى الاقدام ؛ اما دراريع الرجال ، فهي على نقيض ذلك ، اذ لا تصل الا الى منتصف السيقان (لين ، المصدر القيم السالف ص 44 مع الصورة ، ص 63 ، 64 ، مع الشكل ، تيرنر ، المصدر النفيس السابق ، ص 396) .

واننى اجهل الزمان الذي دخلت خلاله كلمة عرى فى اللغة العربية واستعملت فى مصر ، ولكن اللباس الذي يحمل اليوم هذا الاسم كان شائع الاستعمـــال منذ عدة قرون . ففي حكاية شويكر Schweigger (الكتاب الجديد للاسفار من المانيا الى القسطنطينية واورشليم ، ص 288)

وهو الرحالة الاوروبي الذي زار مصر عـــام 1577 ، نقرا : « لا يرتدي المصريون — رجـــالا ونساء — الا قميصا ابيض او زرق ، له كمان واسعان يبلغ عرضهما ذراعين تقريبا ، شأنهم شأن العرب

---

4) يقال شعرية وجمة وشعر اصطناعي او شعر معار مقابل كلمة perruque الفرنسية . وكلمـــة gauloise صفة لهـــذه الجمة . وبلاد الغـــال ، كما لا يخفى ، هي فرنسا . فكلمة غالي : فرنسي ، وغالية : فرنسية (المترجم) .

5) هذه المعرقة الوبرية تسمى فى الموصل طاكية (المترجم) .

البداة » . انظر الشكل (A) الفلاح المصري ، والشكل (B) ابن الشعب . اما عن دراعة المراة فانظر ص 272 مع الشكل . (ونقرأ فى قصة وايلد Wild كتاب (وصف جديد لرحلة اسير مسيحي ، ص 204) .

راجع حول بدو مصر الازرق : جاك فورمبسر Jacques Wormbser فى كتابه (وصف قيام برحلة ذابا وايابا و ص 223

وكذلك جان هيلفريش Jean Hellfrich فى كتابه : « تقرير مختصر واقعي عن رحلات ، ص 379 و 387 و 397)

وكوبان Coppin فى كتابه (درع اوروبا ، ص 324 و 325).

وفاله ، فى كتابه (رحلة ، ص 818 و 739 ، ج 1 (Viaggi)

العصبة ، العصابة (6)

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 128) كلمة عصابة بالعمامة . ومن الممكن ان هذه الكلمة كانت تعني فى العهود الغابرة شبه عمامة مقارنة مع فريتاك ، الامثال العربية ، ج 1 ، ص 333) ، ولكن فى ايامنا هذه لم تعد الحالة قائمة . ويقرر لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 67) ، « ان العصبة تشير الى طرحة من الحرير مربعة الشكل سوداء اللون ، لها حاشية حمراء وصفراء ، وهي تبطن بصورة منحرفة ، ثم يلف بهذا الراس ، وتتدلى من الخلف عقدة وحيدة منها » .

وهذه العمرة لا ترتدي هذا اليوم الا من قبل النساء وحدهن . فنحن نقرأ فى كتاب ابن اياس (تاريخ مصر مخ 367 ، ص 398 ، حوادث سنة 840) : وكانت الغاسلة اذا خرجت تغسل ميتة تأخذ ورقة من عند المحتسب وتجعلها فوق عصابتها مخيطة فى ايزار حتى يعلم انها غاسلة » . لان السلطان كان قد حرم على النساء الخروج من بيوتهن » ونجد فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 369 (: على رؤوسهن العصائب المزركشة بالفصوص التي هي من سائر اصناف الجوهر (7) . وفى موضع آخر (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 101) : « تعصبت امه بعصائب الحزن » . واخيرا نقع فى نص آخر ، سبق لفريتاك ان ذكره ، فى حديث عن عصبة هائلة ، ومعنى ذلك ، فى ملتي واعتقادي ، ان الموضوع هو موضوع عصبة يتدلى طرفاها من جانب واحد (ط هابيخت ، ج 2 ، ص 146 ، او ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 208 ، ترجمة لين ، ج 1 ، ص 338)

والكلمة مكتوبة فى كتاب هوست (اخبار من مراكش ، ص 119) على هذه الصورة : عزابة Azéba : وهي فى مراكش تشير الى شبه عمرة راس مزينة باللآلىء وقطع النقود الذهبية من صنف الدوكات . وقد فرغنا منذ برهة من معرفة ان هذا

---

6) لقد توهم فريتاك فى كتابة الكلمة عصبة ، وان شهادة صريحة قاطعة من رجل مثل لين لا تدع مجالا للشك بأن كلمة عصبة هي الصحيحة النطق .
اما كلمة عصابة وجمعها عصائب فتشير كذلك الى الراية (راجع كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك، ج 1 ، ق 1 ص 135 ، 182 ، 227 ، 228).وبعد ذلك (ص 250) يقول المستشرق الجليل بكل ما طبع عليه من صراحة ، انه اخطأ فى ترجمة عصابة الى (بيرق Drapeau) راية ، فى نصين للمقريزي ، فى موضوع النساء . ويجب علي بدوري ان احملكم على ملاحظة ان سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية ، ج 2 ص 268) قد اخطأ فى ترجمته لاحد نصوص السيوطي كلمتي العصائب السلطانية بالطرابيش الملكية ، فينبغي احلال الرايات الملكية فى هذا المحل .
وحين كانت ترد كلمة طاقية فى احد نصوص المقريزي ، والمراد بها عصابة الطاقية ، كنت اترجم العصابة بسنام الطاقية ، وقد اردت بذلك ان ادلل بهذه الكلمة على الجزء العالي من التاج . وهكذا سرت فى الترجمة على هذا المنوال ، لانني كنت قرأت فى نص من كتاب للبلاغة والفصاحة لابن الأثير، المثل السائر ... المترجم) وقد ذكره كاترمير (كتابه القيم ، ص 250) عصائب كامثال الأسنمة ، فاعتقدت من باب التوسع ان بوسعنا خلع اسم عصابة على اشياء اخرى مماثلة ، من ناحية الشكل، سنام البعير .

7) راجع حول كلمة فص تعليقه لكاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 2 ، ق 1 ، ص 270 وما تلاها) . وفى كتاب تاريخ اليمن ، لدى روجرز ، يدور البحث عن خنجر مفصص .

الترف كان موجودا كذلك فى مصر . وتلبس العصبة فوق العبروق .

ويكتبها كرابر فى كتابه (المرآة ، ص 81) : Azzaba

ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ص 17) فى معرض حديثه عن (البجاة) فى مدينة عيذاب : « وهم سود الالوان يلتحفون ملاحف صفر ويشدون على رؤوسهم عصائب يكون عرض العصابة منها اصبعا » . وبعد ذلك (ص 258) يقول الرحالة نفسه ، وهو يتحدث عن الجزيرة المسماة البرهنكار، القريبة من جاوه : « واتى الينا سلطانهم راكبا على فيل عليه شبه بردعة من الجلود ولباس السلطان ثوب من جلود المعز ، وقد جعل الوبر الى خارج ، وفوق راسه ثلاث عصائب من الحرير ملونات ، وفى يده حربة من القصب » .

العصـــــا

يذهب القاموس (ط كلكتا ، ص 1917) الى ان العصا هي الخمار للمراة . ولكن يتحتم على هذه الكلمة ان تشير الى ضرب من الخمار على هيئة شبكة يشبكها البدو على الاكتاف ، ذلك لاننا نقرأ فى (مقتطفات من قصة عنترة : ص 24) .

« لبس حوائج (8) خليقات مختلفات وشبك العصا على اكتافه » .

المعقـــب

تشير هذه الكلمة الى تشير اليه الكلمة السالفة اي انها تعنى خمار امراة (القاموس ؛ ط كلكتا ، ص 130) .

العقـــال

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نقرأ فى احد كتب بركهارت، (ملاحظات على البدو الوهابيين ، ص 27) : « ان ابناء عنزة ، يحيطون عمرتهم المسماة كوفية بحبل مصنوع من وبر البعير ويدعى بالعقال ـــ بدلا من العمامة . ويقول فريزر كذلك فى (اسفار فى كردستان وبلاد ما بين النهرين الخ ، ج 1 ص 228) بعد ان تحدث عن كوفية عرب بغداد : « انهم يشدون ، حول قمة الراس المغطاة بهذه الصورة ، شبه وسيدة مصنوعة من وبر البعير البني اللون

(A wisp of brown camels hair) المبروم جزئيا » .

(قارن بهذا الكلام كذلك الجزء الاول ، الصفحة 340) .

العقم ، العقم ، العقمة ، العقمة

تشير هذه الكلمات ـــ حسب مذهب القاموس (ط كلكتا ، ص 1666) الى المرط الاحمر ، او بالاحرى تدل على كل ثوب احمر (المرط الاحمر او كل ثوب احمر) . راجع كلمة مرط .

الملقـــــة

اننا نقرأ فى القاموس (ط كلكتا ، ص 1316) ان العلقة هي : « اول ثوب يتخذ للصبي » . اذن فهي قميص ، ذلك لان اطفال البدو لا يرتدون الا قميصا حين لا يكونون عراة كل العرى ، وهذا ما يحدث فى كثير من الاحيان ، ويجزم ملشيور جزما قاطعا فى كتابه (وصف دقيق للحج ، ص 261) فيقول ، « لا يلبس صبيان البدو ، البالغون من العمر خمس او ست سنوات سوى القمصان ، وعلى رؤوسهم الطرطور ». ويقول راوولف فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 155) :

« لا يرتدي ابن الامير البدوي البالغ من العمر سنتين الا قميصا صغيرا من القطن » .

ونحن نقرأ فى قصة وابلد (قصة جديدة لرحلة اسير مسيحي ، ص 220) « ان بعض صبيان البدو عراة وبعضهم يلبسون القمص » .

ونجد فى قصة تيرنر (مذكرات جولة فى المشرق، ج 2 ، ص 480) : « ان اطفال البدو عراة فى معظم الحالات ، فاذا لم يكونوا عراة فملابسهم القمصان

8) لكلمة حوائج هذا المعنى غالبا فى كتاب الف ليلة وليلة . فنحن نقرأ مثلا فى هذا السفر (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 178) : امر بشيل الحوائج . وفى موضع آخر (ج 1 ، ص 192) : نظر عمامته وحوائجه . ويترجم مويت Mouette فى نهاية كتابه « تاريخ غزوات مولاي .... كلمة Vestement بكلمة Lenhaoiche الحوائج

القطنية الغليظة البيضاء او الزرقاء اللون — فقط » ويضيف القاموس — (او قميص بلا كمين) . (او ثوب يجاب ولا يخاط جانباه تلبسه الجارية . وهو الى الحجزة . او الثوب النفيس » .

العمامة

لهذه الكلمة مدلولان ، المدلول الاول يشير الى العمامة بقضها وقضيضها : اي الكلوتة ، او الكلوتات، مع قطعة القماش الملونة حولها (وهذه العمامة بتمامها تدعى كذلك عمة (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108 . ابن سعيد ، المذكور لدى فريتاك) ، (طرائف عربية وقواعد وتاريخ ، ص 147) . (9) .

والمدلول الثاني يعين قطعة القماش وحدها ، وهي التي تلف عدة لفات حول الطاقية (الكلوتة) او الطاقيات ، الطواقي . ولو شئنا جمع التفاصيل المتيسرة حول العمامة لملأت سفرا باكمله . لذلك سنقتصر هنا على ايراد المعلومات الرئيسية ، موجهين نظر القارىء الراغب بالمزيد من التفصيلات الواسعة الى البحث النفيس الذي كتبه فيكسيه في كتابه (رحلة الى الشرق وما تلا ، ص 183) فهو بلا منازع خير من كتب عن العمامة . ولكننا سنحرص كل الحرص في هذا المقال على الالماع الى استعمال العمامة .

العمامة في العادة بيضاء اللون ، معمولة من الشاش الموصلي . ولكنها تعمل كذلك من اقمشة اخرى ومن الوان متفرقة . فهي تؤلف مثلا من الحرير الأسود المرصع بالذهب ، او من الكشمير ، او من الصوف الاحمر او الابيض ، الخ .

وكان سعيد بن العاص بن امية يتميز بين العرب القدامى بجمال عمامته (الميداني ، الامثال العربية ، ج 1 ، ص 333) ، (النويري ، نهاية الارب ، مخ 273 ، ص 137) . وكان الرسول يعتم بعمامة كانت معروفة باسم السحاب (le nuage) وقد اورثها او تنازل عنها لعلي (عيون الأثر ، مخ 340 ، ص 189). ولعل ابن جبير في كلامه عن (عمامة شرب رقيق سحابي اللون قد علا كعبتها على راسه كأنها سحابة مركومة وهي مصفحة بالذهب) قد اشار الى هذه العمامة البيضاء للرسول . (الرحلة ، مخ 320 ، ص 83) . وذلك اثناء حديثه عن امير مكة .

وكانت العمامة في الاندلس والمغرب لا تلبس الا في الحالات النادرة . (ابن سعيد ، النص السابق) ومما لا ريب فيه ان الجيش لم يتخذ هذا الاكليل ، ذلك لاننا نقرأ لدى النويري (تاريخ الاندلس ، مخ 2 ص 474) : « ثم عزم على الغزاة وتقدم اليه هشام ان يتعمم هو وسائر الجند . ففعل وعقد الويته وخرجوا في العمائم . وكانوا بها في اقبح زي لمخالفة العادة »

وكان الفقهاء في الاندلس يلبسون العمامة بصورة عامة .

وفضلا عن ذلك فان عمامة القضاة اضخم كثيرا من عمامة العرب الآخرين ، ومن هذا الوضع كان يسمى واحدهم (بالمتعمم او المعتم او صاحب عمامة او رب العمامة) (10) . راجع حول هذا الموضوع ملاحظة ممتعة للغاية لكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج ، ق 1 ، ص 245 ، 246) .

ويحرص جميع المسلمين ، ولا سيما رجال الشريعة منهم ، على حصر شرفهم في عمائمهم . وعادة اسبال طرف من قطعة القماش عريقة في التاريخ . وما تزال موجودة في ايامنا هذه . وهذا الطرف يحمل اسم عذبة او ذؤابة (11) ، وهو امر شائع الى حد ان

---

9) ان سليفستر دي ساسي ، في حديثه في صحيفة العلماء عن كتاب فريتاك ، يرى وجوب احلال كلمة عمامة محل كلمة عمة في هذا النص. ولكن كلمة عمة موجودة في مخطوطة دي غويا (ص 45) ، وهي صحيحة على العموم ، ومؤيدة بشهادة دي شابرول.

10) ان عادة رجال الشريعة بالتميز باكليل ضخم او عال موجودة في الغرب . فانني اطالع في مخطوطة هولندية من مخوطات مكتبة هامبورك ، وهي تعالج لعبة الشطرنج ، ومسجلة برقم 49 وصفحة 47 ، ما يلي : « تقرر ان يتالف مجلس الملك من رجلين من الشيوخ ، يلبس كل منهما قبعة عالية»

11) لا وجود لكلمة ذوابة بهذا المعنى في القاموس. ولكن المقري او بالاحرى ابن سعيد (لدى فريتاك ، طرائف عربية نحوية تاريخية ، ص 148) والسيوطي (لدى دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ص 267) يستعملونها بهذا المعنى . فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كاياكوس ، ص 138) : « اتى شيخ على راسه عمامة لها ذوابة عليه ثياب بيض وعمامته كبيرة لها ذوابة وهي مائلة الى جانب » .

الشعراء استعمل تعبير (كل ميال عمامة) : اي كل عربي . (راجع بيت هذا الشاعر في (طرائف عربية ، كوزكارتن ، ص 76) . (والعمامة البغدادية) كان لها عذبتان . (راجع كاترمير ، كتابه النفيس ، ج 1 ، ق 1 ، ص 133) .

ويلبس الشرفاء واحفاد الرسول في يومنا هذا العمامة الخضراء . وكانوا قديما يعلقون قطعة خضراء من القماش في العمامة ، وفي عام 773 امر سلطان مصر وسورية ، الملك الاشرف شعبان ، هؤلاء بربط قطعة من القماش خضراء بعمائمهم . (ابن حبيب ، درة الاسلاك ، مخ 425 ، ص 578 ، 579 ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، مخ 113 ، ص 346).

وتصر مختلف الاشياء في العمامة ، والشرقيون يستعملونها استعمالهم لجيوبهم . فنحن نقرا في كتاب ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 429) : « تغير خاطر السلطان على القاضي عبد الباسط ونقله من المكان الذي كان بالحوش الى برج من ابراج القلعة . فلما استقر به دخل عليه الوالي وقال له : « ان السلطان رسم بنزع ثيابك فعراه ثياب بدنه حتى اخذ عمامته من على راسه وتركه وهو عريان ودخل بأثوابه بين يدي السلطان. وكان قد وشي به عند السلطان ان معه شيئا من السحر . فلما فتشوا عمامته وجدوا فيها قطعة من اديم ووجدوا اوراقا فيها ادعية جليلة وخواتم فضة لا غير . فبعث السلطان يساله عن تلك القطعة الاديم ما هي . فقال : « هذه من نعل النبي صلى الله عليه وسلم . فباسها السلطان ووضعها على عينيه واعاد اليه ثيابه ونقله الى المكان الذي كان به اولا » .

ونجد في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 313) : « فأخذ الكتاب نور الدين وباسه وحطه في عمامته » . وكثيرا ما توضع حافظة النقود في العمامة ، ولهذه العلة يحرص اللصوص في الشرق على اختطاف عمائم السابلة فوق كل حرص . راجع كتاب الف ليلة ، مكناكتن ، ج 1 ص 201 ، وتعليق لين ، الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص ، 420).

ولما كانت عمامة تشير الى قطعة من القماش فارعة الطول يلفها المتعممون حول الراس ، فلن يبدو امرا مستغربا ان تستعمل العمامة .

1 — لتكتيف سجين او اسير . فنحن نقرا في (قصة من قتله الشجن ، لدى كوزكارتن ، طرائف عربية ، ص 69) : « ربط السجين بعمامته » . وفي كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 190) : « اهدموه وكتفوه بعمامته وجروه غصبا الى عندى من غير اذية تحصل له » .

2 — لشد الانسان نفسه فوق شيئ توقيا من السقوط ، او لغرض آخر . فنحن نقرا في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 4) : « فكنت اشد بعمامة نفسي فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف .

3 — لخنق الانسان نفسه او لخنق سواه . فنحن نجد في رحلة ابن بطوطة (مخ ، ص 157) : « فدخل الى بيته وربط عمامته بسقف البيت واراد ان يخنق نفسه » . وفي كتاب القرطاس (مخ 17 ، ص 99) : « فجعلوا عمامته في عنقه وشنقوه بها » . ونقرا في في الكتاب المعنون (حكاية اقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب ، ص 4) : « ان احد الافارقة يعتقد انه لا سبيل الى قهره عندما يكون معتما بالعمامة ، ولكن هذه العمامة تكون احيانا مصدر شؤم له . فالحقيقة ان الانسان يستطيع ان يخنق بطرف عمامة من هذه العمائم التي تحيط بعنق الضحية بأقل من الوقت الذي يستغرقه سحب الحبل المشؤوم لخنقها بالحبل الذي يرسله اليها الباشا » . واعتقد ان تعبير (عمامته في عنقه) نجم من استعمال العمامة في كثير من الاحيان لخنق احد الرجال (المقريزي ، لدى دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ، ص 31 من النص). وهذا يعني : ان الرجل دان وخضع واطاع . ذلك لانني ارى ان الناس كانوا يعبرون بلبس العمامة حول العنق عن اعترافهم للسلطان بالسلطة المطلقة بالتصرف في محياهم ومماتهم . راجع في موضع آخر كلمة منديل . واستعانة بهذه التفصيلات سيكون بوسعنا ان ندرك بسهولة ، حسب عقيدتي ، نصوص المؤلفين العرب ، التي لا تستعمل العمامة استعمالها الاعتيادي . وبوسعي كذلك ان اضيف اننا نقرا لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ ، ص 238) : « وجعلوا العمائم في اعناق خيلهم » . وهي عادة اهل الهند اذا ارادوا الموت .

ويجب الحذر من التفكير بسبق استعمال النساء للعمامة . فان هذا الاكليل خاص بالرجال وحدهم ، وفي الشرق ينحت شكل عمامة على شاهدة القبر ، في حالة ضم هذا الجدث رفات شخص من جنس الذكور . وبهذه الوسيلة يمكننا بسهولة تمييز قبور الرجال من قبور النساء ، ذلك لان اضرحة النساء

ينحت لها اكليل امراة . (راجع كوبان ، درع اوروبا ، ص 284) وانظر كذلك (حكاية اقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب ، ص 37) .

المعـــرونـــــة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن يبدو انها تشير الى نوع اكليـل كانـت تستعمله نساء الاندلس . ويفسر بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات اسبانية عربية) هـذه العبـــارة Velo o toca de muger بكلمـة عمرونـة وجمعها عمارن . وتوجد كلمات Toca de muger عمرونة امراة مفسرة على نفس الشاكلة — ونحـن نقرا حول كلمة Xativa toca de alli « Xativa » . عمرونة شطيبية .

الغطـــايـــة (12)

تشير هـذه الكلمة الـى الكلمة الفرنسيـــة Une tournure لا تورنير — وهي الغلالـــة . (القاموس) .

الغفـــــارة

يبدو ان هذه الكلمة كانت تشير قديما الى نوع طاقية من طواقي المراة . ويقول الواحدي في (شرح ديوان المتنبي — مخ 542 — ص 33) مفسرا هـذا البيت (البسيط) :

نعـج محاجـره دعـج نواظـره
حمر غفائـره سـود غدائـره

« الغفائر جمع غفارة وهي خرقة تكون علـى راس المراة توقى بها الخمار من الدهن . وقد تكون اسما للمقنعة التي تغطي بها الراس — وان جعلنـا الغفائر المقانع فانما جعلها حمرا لانهن شواب . كمـا قال حمر « الحلى والمطايا والجلابيب » . وانما جعلنا الخرق فهي حمر لكثرة استعمالهن الطيب من المسك والزعفران » . (راجع مدخل كتابي هذا — ص 7) — ويقول الشاعر كذلك — في معرض حديثه عـن الغيد الاماليد :

من الجـاذر في زي الاعاريـــب
حمر الحلى والمطايا والجلاليـب ؟

ولكن على النقيض من ذلك اذا عنينا بكلمة غفائر قطع قماش فينبغي افتراض ان الشاعر يصور لنـا هذه الجآذر حمراوات لان النساء اللواتي يتحـدث عنهن يفرطن في استعمال العطور كالمسك والزعفران»

واعتقد ان الواحدي يأخذ كلمة مقنعة بمعنـى الطرحة التي توضع على راس او العصبة او المنديل. وكانت هذه المقنعة نوعا من الاكليل اوسع من قطعة القماش او الخرقة التي يتحدث عنها ايضا . وهـــذا المعنى الاخير هو الذي تبناه ابن جنى في شرحه لقول المتنبـــي (مخ 126 — ص 103) — ويضيف هـــذا الشارح قائلا : « وقوله : حمر غفائره — يشير الى انهن شواب لان الحمر من لباس الشواب او يريد به انهن ملطخا (كذا) بالطيب (13) ولكن هذه الكلمـة كانت تشير كذلك في الاندلس الى طاقية — كلوتة — يلبسها الرجال — وذلك ما ينبغي اضافته الىالقاموس وان المقري او بالاحرى ابن سعيد (لدى فريتاك — طرائف عربية نحوية تاريخية — ص 147 — 148 ، بعـد ان سبـق له ان قـال ان عـرب الاندلـس لم يكونوا يلبسون عادة العمامة — وان هذا الاكليل كان بصورة خاصة نادر الاستعمال في الجزء الشرقي من شبه الجزيرة — يضيف الى ذلك قائلا — بعد ان تحدث عن الطيلسان : « وغفائر الصوف كثيرا مـا يلبسونها حمرا وخضرا . والصفر مخصوصة باليهود وعلى ذلك فان المراكشي (المعجب — مخ ليدن — وهذا النصقد نشر بعناية مونك في الصحيفة الآسيوية — س 3 — ج 14 — ص 40 — تموز 1842) يقول — في معرض حديثه عن اليهود — انهم كانوا يلبسون « بدلا من العمائم كلوتات على اشنع صورة كانهـــا البراديع تبلغ الى تحت آذانهم » .

واعتقد ان هذا النص لا يدع مجالا للشك في انكلمة غفارة تعني لدى ابن سعيد كلوتة بالذات — وافترض ان الاندلسيين قد خلعوا كلمة غفارة على الطاقية التي يسمونها هذا اليوم في المغرب شاشية . والشاشية ايضا مصنوعة من الصوف الاحمر — وتلبس عادة بدون عمامة .

وتوجد كلمة غفارة بمعنى كلوتة في النـــص التالي لابن بسام (الذخيرة — مخ دي غوتـا — ر 266 — ص 6) حيث نقرا : « ولابن طاهر عـــدة

12) الغطاية ما تغطت به المراة من حشو الثيـاب تحت ثيابها — كالغلالة ونحوها (المعجم الوسيط) .
13) اعتقد وجوب قول ملطخات او متلطخات . اذ يقول ابن بطوطة (ص 241) ويتلطخون بالغاليـة المجلوبة من مقدشو . وفي موضع آخر (ص 246) تلطخوا بالصندل .

نوادر اخر من الجمر وادمع من الصخر . ارسل اليه ابن عمار وقت القبض عليه — وهو معتقل بين يديه — يعرض له خلعة يتسربلها — ويشير اليه بكرامة هل يتبلها . فقال لرسوله : « لا اختار من خلعه اعزه الله الا فروة طويلة وغفارة جبيلة — فعرفها ابن عمار واعترف بها على رؤوس اشهاده وبحضرة من وجوه قواده واجناده » . قال : « نعم انما يعرض بزيي يوم تصدته وبهيئتي حين انشدته — فسبحان من يعطي ويمنع ويرفع من يشاء ويضع » .

بغية ادراك هذا النص — ينبغي علينا ان نعلم ان الشاعر الاندلسي المشهور ابن عمار قد ولد من ابوين مغمورين — وانه تحت غائلة الفقر والادقاع طاف الاندلس بأسرها في مطلع شبابه — منشدا اشعاره على الكبراء والامراء . وبعد ان تالق نجمه حتى وصل الى منصب الوزارة بفضل حاميه المعتمد ملك اشبيلية — شن الحرب — بامر هذا الامير — على ابن طاهر — ملك مرسيه فقهره ووضعه في السجن . وان النص الذي فرغت من ايراده يكمل ما اردت افهامكم اياه .

ونقرا لابن حيان (لدى ابن بسام — الذخيرة — مخ دي غوتا — ص 232) : « ومما وقع التعجب منهم انه اخذ من البياض المقتولين من اهل طليطلة في تلك الوقعة الف غفارة من لبوس اهل الرفاهية ايام المباهاة » ويقول مثل هذا ابن بسام (لدى المقريزي — تاريخ الاندلس — مخ دي غوتا — ص 618) : وكان من جملة ما غنمه الفرنج من اهلها لما خرجوا اليهم في ثياب الترفه الف غفارة .

ونستخلص من هذه النصوص ان محاربي طليطلة لم يشكوا قط في ان النصر سيكون حليفهم — لذلك ارتدوا اجمل ثيابهم واعتمروا بأجمل غفائرهم — بدلا من ستر رؤوسهم بالاقنعة .

وفي المغرب ايضا كانت تشير كلمة غفارة في القديم الى الكلوتة التي توضع تحت العمامة — ذلك لان مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين المعنون بالحلل الموشية (مخ 24 — ص 9) يعد من بين الهدايا المهداة من قبل الامير يوسف بن تاشفين الى عمه ابي بكر بن عمر مائة عمامة مقصورة واربعمائة من السوسي ومائة غفارة (14) .

الغفارة وجمعها الغفافير

لاجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن في قائمة الاسماء العربية التي انشأها بريتنباك Breitenbach في كتابه (وصف رحلة وزيارة — ص 115
(Beschreibung der Reyse und Wallfahrt, fol. 115 vo
وهو الرحالة الذي زار الشرق في عام 1483 — فسر كلمة غفارة Goffara بكلمة Mantel (Manteau) كساء . والواقع اننا نقرا في تاريخ النويري (تاريخ مصر — مخ 22 — ص 161) . لم يبق احد الا ناله منه مكروه من الضرب والنهب (15) واخذ المال وارتفع شأنه عند الآمر باحكام الله الى ان كان يستعمل له ملابس مخصوصة به بدمياط وتنيس (16) من الصوف الابيض المنسوج بالذهب . فكان يلبسها ويلبس من فوقها الغفافير الديباج .

ويقص علينا النويري في موضع آخر (مخ — 2 — ص 96 مخ 2 — ص 188) قصة اسر وحبس القديس لويس الذي يسميه المؤرخ — ملك الفرنج

---

14) ان سوس Sous او سوسه Sousah — اسم مدينة واقعة على ساحل البحر — في ولاية تونس . وفي هذه الولاية تصنع حسب قول الادريسي (الجغرافية — ج 1 — ص 297) بعض العمائم التي اطلق عليها اسم عمائم سوسه ويؤكد البكري في كتاب (ملاحظات ومقتبسات — ج 7 — ص 488) وليون الافريقي (لدى راموسيو — الابحار والارتحال — ج 1 ص 28) ان شطرا من سكان سوسه هم حاكة ونساجون — ويخبرنا شو في كتابه (الرحلات — ج 1 — ص 173 . . . الخ . .) وقوع السوق الرئيسية للملكة في هذه المدينة — وهي السوق المختصة بصناعة الكتان .

15) ان كلمة نهب ولا وجود لها في القاموس . ومع ذلك فهي شائعة الورود . راجع دي ساسي طرائف عربية — ج 1 — ص 37 من النص . وانظر كذلك كوزكارتن — طرائف عربية — ص 80 — والمراكشي — المعجب — مخ 546 — ص 136.

16) كانت تنيس من اغنى المدن المزدهرة بمصانعها في مصر . (راجع كاترمير — مذكرات جغرافية وتاريخية عن مصر — ج 1 — ص 308 — 330) وهذه المدينة الكبيرة التي كانت قبلة اعجاب الشرق والغرب لم يبق في ربوعها ديار هذا اليوم !

ريدا فرانس (ملك فرنسا باللغتين الفرنسية والايطالية (17) .

Le roi des Francs, re da Francia

ويضيف الى ذلك قائلا ان السلطان حين كتب الى حاكم دمشق (بعث مع الكتاب غفارة ريدا فرانس الى الامير جمال الدين فلبسها وهي اسقلاط écarlate احمر تحته سنجاب وفيها شكل بكلة ذهب (18) .

ويبدو ان مؤرخين عرب آخرين — لم نعثر على كتبهم فى مكتبة ليدن — يستعملون نفس الكلمة بهذا الصدد . واننى لا اجهل ان كاردون Cardonne فى نشره لكتاب جوانفيل Joinville — حياة القديس لويس Vie de Saint Louis قد ترجم الكلمة بكلمة Bonnet طاقية الواردة فى نصوص المقريزي (ص 542) وأبي المحاسن (ص 549) والاسحاقي (ص 555) — ولكن اذا كانت مخطوطات هؤلاء المؤلفين تذكر كذلك كلمة غفارة — فهي ليست غفارة — كما يحتمل ان يكون قد توهمها كاردون — ولكن غفارة وهذا ما يبرهن عليه كل البرهنة وزن قصيدة اوردها النويري (كتابه القيم) التي مطلعها .

(الخفيف) ان غفارة الفرنس التي (الابيات)

ويقول دابر فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا — ص 240 — مج 2) ان الغفارة Gaffara او الغفارة Goffara هي ثوب واسع — معمول من الجوخ الماون وهو مزرر بازرار من ناحية الكتفين .

الغلالة

يرى القاموس ان هذه الكلمة تشير الى ما نسميه الغطاية une tournure ولكن يبدو انها تعنى كذلك نوع ثوب للمراة . فاننا نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 3 — ص 161) ان امراة البست عشاقها ثياب بنات جنسها — وتواصل القصة سيرها على هذا المنوال : فقالت له : « يا سيدي اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على راسك حتى نحضر بالمأكول والمشروب وبعد ذلك تقضي حاجتك » فأخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع . (والكلام يجري مع القاضي) . وبعد ذلك بقليل (نفس المرجع) قالت له: «اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة» فخلع ما كان عليه والبسته غلالة زرقاء وطرطورا أحمر . (والكلام هنا دائر مع العاشق الثالث الوزير) .

والنص الرائع التالي موجود فى تاريخ مصر للنويري (مخ — 2 — ص 86 — حوادث سنة 643): بعث الملك الصالح اسماعيل الى الامير الصاحب معين الدين بن الشيخ سجادة وابريقا وعكازا . وقال : « اشتغالك بهذا اولى من اشتغالك بقتال الملوك» (19) فبعث اليه الصاحب جنكا (20) وزمرا وغلالة حرير اصفر واحمر. وقال: «اما ما ارسلت به الي فهو يصلح لي . وقد ارسلت بما يصلح لك (21) » .

وهناك بيتان وردا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 1 — ص 167) حول كلمة غلالة — هذا نصهما : اقبلت فى غلالة زرقاء

لا زوردية كلون السماء

فتأملت فى الغلالة منها

قمر الصيف فى ليالي الشتاء

ويبدو ان الغلالة كانت صفراء على الدوام فى العهود القديمة — ومن هناك استعمال الشعراء تعبير غلالة نور . وهذا التعبير موجود فى المختارات الادبية المعنوية (يتيمة الدهر — مخ 502 — ص 652) . انظر كذلك (تاريخ بني عباد — ص 40 —

---

17) يبدو ان النويري يعتبر هذه الكلمات الايطالية Re da Francia كانها الاسم الخاص لملك فرنسا . ويخيل الى ان معظم الشرقيين قد تعلموا اسماء الصليبيين من الايطاليين — ذلك لاننا نجد لديهم جميعا على وجه التقريب النطق الايطالي.

18) المخطوطة ب تذكر مكلة . وانا اعتقد ان بكلة هي الكلمة الحقيقية وان كلة اسم وحدة من الكلمة الفارسية كل = وردة . وعلى كل حال فانني لا اتقدم بهذا الافتراض الا على وجه التخمين والحدس

19) يعني : ترهب . قايس هذا بنص ابن بطوطة حول كلمة مرقعة — ص 189 — سيلفستر دي ساسي — طرائف عربية — ج 3 — ص 268 .

20) انظر صورة الآلة المسماة بالجنك فى كتاب لين (الف ليلة وليلة — ج 1 — ص 228) وقايس ذلك بكتاب (المصريون المحدثون — ج 2 — ص 86) حول الزمر .

21) معنى ذلك : انهمك بالامور التي تنهمك بها القينة المغنية .

وشرح هذه العبارة ص 87 و 88) . وهناك بيت أورده ابن خاقان في (قلائد العقيان — مخ 206 — ص 364) جاء على هذه الصورة (الكامل) :

لما تهلل في الظلام جبينها
لبس الظلام بها غلالة نور

ونحن واقعون على بيت آخر — رواه ابن بسام في (الذخيرة — مخ دي غوتا — ص 211) نقرأ فيه (المنسرح) :

والشمس قد عصفرت غلائلها
والأرض — تندي — ثيابه الخضر

فهنا نرى ان موضوع هذا النص هو اشعة الشمس التي يصفها العرب بالصفرة . ويصف احد الشعراء ثوب حسناء يافعة (لدى الفتح بن خاقان — مخ بطرسبورغ — ص 52) فيسميه غلالة نرجس .

ويظهر ان الغلالة كانت ثوبا مفرطا في الشفوف والخفة . ومن هنا جاءنا ان ابن بدرون (شرح قصيدة ابن عبدون — مخ ، حين وصف القبة التي رفع عمادها احد امراء طليطلة وسط غدير — وزاد حسنها حسنا بانبثاق نافورة اصطناعية وكان ماؤها يحيط بالقبة من كل جهاتها — قد استعمل تعبير : فكانت القبة في غلالة من ماء .

ومن هنا ايضا اشرقت التعابير — امثال : وقد طرزت غلالة خده (ابن خاقان — المطمح — مخ — ص 81) حيث يدور الكلام عن زغب خفيف قد كسا خدي ساق في ريعان صباه . وهناك شاعر آخر (لدى ابن بسام — مخ — ص 228) عبر عن احاسيسه بهذه الكلمات (البسيط) .

ابقى الشباب عليه من غلائله
ما اثرت فيه من لين غلالته

واعتقد انني مستطيع تحليل هذا البيت على هذه الشاكلة : « ليدم هذا الثوب الرقيق الذي كست به الشبيبة هذه الكاعب الحسانة ! فما احلاها وهي كاسية بهذا الثوب الرقيق — وما ارق بشرتها واشفها ! » . واعتقد انني واجد الغلالة في مدينة الجزائر — اذ يكتب دييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر — ص 27 — مج 2 — 3) هذه الكلمة على هذه الصورة gonila او goleyla والمؤلف اذ يتحدث عن زي نساء مدينة الجزائر يؤكد انهن يلبسن فوق القميص الثاني عند اشتداد البرد ثوبا (sayo) من الجوخ او من القطن المندوف (o de colchas) شبيه بثوب ازواجهن — وهن يسمين هذا الثوب gonila واخريات يسمينه goleyla اما النساء التركيات والمرتديات فيلبسن عادة فوق قمصهن ثوبا منسلا الى اوساط سيقانهن — وهو معمول اما من الجوخ الرقيق الملون واما من (اسقلاط — ارجوان بلنسيه écarlate) او من الاطلس او القطيفة والمخمل او من الدمقس . وهذه الاقمشة الثلاثة الاخيرة تكون ملونة على الدوام . وهذا الثوب له ياقة مفرطة في التقور بحيث انها مفتوحة حتى الصدر . وبارتفاع الصدر توجد بعض الازرار الذهبية او الفضية الكبيرة — وهي مصنوعة صنعا متقنا — والنساء يسمين هذا الثوب نفس تسمية النساء المغربيات له اي : gonila ويتحتم على ان احملكم على ملاحظة ان الغلالة اذا كانت تلبس بصورة خاصة من قبل النساء في مصر — كما يؤيد ذلك النصوص الواردة آنفا — فان الحالة لم تكن هي نفسها في بغداد وفي مدينة الجزائر وفي اسبانيا . فان النويري يقول (تاريخ العباسيين — مخ 2 — ص 169) في معرض كلامه عن احد الخلفاء : « وهو في الحمام فهرب في غلالة (قميص) » . ويقول ابن اللبانة (لدى المقري — مخ دي غوتا — ص 550) وهو يتحدث عن المعتمد : « فبرز من قصره — عليه غلالة ترف على جسده » . وهناك مؤرخون آخرون يروون عين الحادث — ويستعملون هنا كلمة قميص (chemise) والمعتمد نفسه يسمي هكذا اللباس الذي كان مرتديه ذلك اليوم (22) . ويعرب دييكو دي هيدو (ص 8 — مج 2) عن هذا الموضوع في حديثه عن رجال مدينة الجزائر فيقول : « انهم يرتدون حين استفحال شوكة البرد قميصا او ثوبا (un sayo) من الجوخ الملون يسبل الى ما تحت الركب — وهذا الثوب يشبه القنباز الصغير la petite soutane وهم يسمونه gonela او goleila ولكنهم يهجرونه في الصيف .

---

22) لابد ان البيت المشار اليه هو :
وبرزت ليس سوى المقيـ
ـص على الحشا شيئي دفوع

الغمـــــرة

يذهب القاموس (ط كلكتا — ص 620) الى ان الغمرة هي : « ثوب اسود تلبسه العبيد والاماء ».

الغنبـــــاز

ان فريتاك هو اول من تقبل هذه الكلمـــة فى القاموس العربي — ولكنني اعتقد انه غلط فى كتابة غنبار بحرف الراء بدلا من حرف الزاي . فاننا واجدون فى تاريخ الاندلس للمقري (مخ دي غوتا — ص 624) النص التالي : « ولما تولى النصارى على ميورقة — فى التاريخ المتقدم — ثار بجزيرة منورقة القريبة منها — الجواد العادل العالم ابو عثمان سعيد بن حكـــم القريشي — وكان وليها من قبل الوالي ابى يحيـى المقتول . وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة واشترط ان لا يدخل جزيرته احد من النصـــارى — وضبطها احسن ضبط » . قال ابو الحسن على بن سعيد : « اخبرني احد من اجتمع به انه لقى منه برا حبب اليه الاقامة فى تلك الجزيرة المنقطعة . وذكر انه ركب معه فنظر الى حمالة سيف ضيقة قد اثرت فى عنقه . فأمر له باحسان وغنباز وكتب معه :

حمالة السيف توهي جيد حاملهـــا
لا سيما يوم اســـراع وانجـــاز
وخير ما استعمل الانســـان يومئـذ
لحسم علتهـــا لبـاس غنبـــاز

والغنباز عند اهل المغرب صنف ، من الملبوس غليظ يستر العنق . واعتقد ان كلمة غنباز هي نفس الكلمة التي كتبها (D. Germano de Silesia, pag. 276) بهذا الرسم : « غمباز من جلد » والتي فسرها بهذه الكلمات :
. « Colletto sorte di veste. Amictorium ex pellibus

وهذه الكلمة موجودة ايضا فى الشرق — وهي تشير كذلك — الى نوع كساء — ولكن هذا النـــوع يختلف عن النوع الذي كان يحمل فى الغرب اســـم غنباز .

ويفســـــر (D. Germano de Silesia, pa. 227) غنباز وجمعه غنبازاء وغنابيز بقمصلة من الصوف .

ويذكر ريشتر (رحلة الى الشرق الاوسط — ص 133) من بين الملابس التي اشتراها فى بيروت — للولوج الى قلب سورية : « انطاريا — يسمى هنـــا قمبازا Kombas اي ثوبا طويلا مصنوعا من شبه الحرير الممزوج » .

ويقول بعد ذلك (ص 206) : « ارتديت قمبازا مهلهلا » . ونجد اخيرا الكلمة نفسها كذلك — ص 213. ويرتكب بركهارت — او ربما ناشره — نفس الغلطة التي ارتكبها فريتاك — لانه يكتب الحرف الاخير (ر) بدلا من (ز) . واليكم ما يقوله (ملاحظات على البدو والوها بين — ص 26) « يلبس الرجال فى الصيف قميصا من القطن الغليظ — هذا القميص الذي يضع الاغنياء فوقه كمبارا Kombar — او ثوبا طويلا — كذلك الثوب الذي يلبسه سكان المدن التركيـــة — المصنوع من الحرير والقطن . ومع ذلك فان معظمهم لا يرتـــدون الكمبـــار Le kombar ولا يلبسون فوق قمصانهم الا كساء من الصوف » . ويكتب نابيـــه (ذكريات من سورية — ج 1 — ص 144) الكلمة هكذا : خمبيز Khumbaiz ويفسر هذه الكلمة بكلمة بليس Pelisse الفروة التي ترتديها نساء بيروت .

ولا ريب ان كانيس (النحو — ص 171) ينظر نفس النظرة الى هذه الكلمة حين يرسم لفظة قنبـاز — والقنباز لديه لباس طويل يصل الى منتصف الساق.

ويبدو ان كلمة غنباز كانت تشير فى الاندلـس ايضا الى نوع ثوب — فان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) يترجم : Jubon vestido nuevo بكلمة غنباز وجمعه غنابيز . (فهل تعني nuevo هذه — لديه هنا — جديدا ؟ ام شيئا ادخل حديثا ؟)

الغـــدام

يذهب القاموس الى ان هذه الكلمة تشير الى العمامة : Le turban .

الفـــروج

يعرض لنا البخاري (الصحيح — ج 2 — مخ 356 — ص 167) فصلا عنوانه « باب القباء وفروج حرير » . ويقول حول كلمة فروج « هو القبـــاء — ويقال هو الذي له شق فى خلفه » .

يبدو اذن ان الناس فى عصر البخاري لم يكونوا يعلمون على وجه الدقة والضبط ماهية الفروج . وايا كانت الحالة فان الحديث التالي مروي فى الصحيح عن عقبة بن عامر . قال عامر : « اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروج حرير فلبسه . ثم انصـــرف فنزعه نزعا شديدا كالكاره له » . ثم قال : « لا هذا للمتقين » . تابعه عبد الله بن يوسف عن الليث . وقال غيره « فروج حرير » .

الفرجيـــة وجمعها الفراجـــي

يصف لين(الفليلة وليلة، ج1، ص324،النص الانكليزي هذا اللباس على هذه الصورة : « الفرجية ثـــوب فضفاض هفهاف ، يعمل اليوم من الجوخ عادة ، وله كمان واسعان طويلان يتجاوزان قليلا أطراف الاصابع، وهذان الكمان بغير تفريج البتة . ويلبس هذا الثوب افراد طبقة العلماء خاصة » . ونقرأ فى تاريخ مصـــر للنويري (مخ ، 2 ، ص 49) ان الملك الناصر داود، لدى وجوده فى بغداد ، تلقى من بين الثياب التي تؤلف الخلعة (فرجية مموج) (23) اي فرجية من مادة ما يسمى بالفرنسية (الزملوط — وبر البعير) (24) . وفى موضع آخر (مخ 2 ، ص 32) : يدور الكلام حول فرجية زرقاء مسنجبة مقندزة . وفى مسالك الابصار لدى كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ، ج 8 ، ص 216) يجري الحديث كذلك عن الفرجيات المسنجبة المقندسة ، التي يلبسها سواد الشعب فى الهند .

ونقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة ، مخ 113 ، ورقة 349 ، حوادث سنة 827) : « جدد للمشائخ الذين يحضرون سماع الحديث بالقلعة فراجي سنجاب . وهو أول ما فعل بهم كذلك » . وفى موضع آخر (لدى دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ص 267) : « واما من دون هؤلاء فالفرجية الطويلة الكم بغير تفريج » . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط هابيخت ج 2 ، ص 34) ، من نص مذكور فى معجم فريتاك : « فقصد نحو تربة أبيه وشق بين المقابر وارخـى فرجيته وكانت فوقانية بحاجات معطبة مقصبة منسوجة بطراز ذهب مكتوب عليها هذه الابيات من الشعر». وفى طبعة مكناكتن (ج 1 ، ص 161) نقرأ هنا ببساطة : « وارخى ذيل فرجيته من فوق راسه وكانت منسوجة بطراز ذهب مكتوبا عليها هذه الابيات » . وقد حملت صفتي منسوجة ومعطبة على الثوب نفسه وليس على الازرار ، لاننا نقرأ بعد ذلك بقليل ، فى نفس القصة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 165) : « الفرجيـــة المنسوجة بالذهب Feridsji Fe . ويتحدث بوكوك (ص 327 ، ج 1 ، وصف الشرق) عن هذا الثوب، ويكتب الكلمة Feridsji فريجية ، ويضيف ان هذا اللباس معمول ، حسب الموسم ، من الجوخ (الزملوط Camelot الموج ، او الحرير (25) .

---

23) لا مندوحة من اضافة كلمة مموج الى القاموس ، بوصفها تشير الى كلمة الزملوط Camelot . والمموج هو بالضبط لباس اللاتين Vestis undulata, vestis cymatilis ويفسر (D. Germano de Silesia (موج من الجوخ) Ciambellotto drappo vestis undulata (ولكيلا تفكروا بوجوب احلال موج محل مموج، ارى لزاما على ان انبه الى ان مخطوطة (ب) للنويري مذكور فيها مموج) . ونقرأ فى قصة كوترفيك (الرحلة ، ص 485) :
« وبالاضافة الى الحريريات والصوفيات ، فان عندهم البسة من الاقمشة المتموجة (الزملوط) وهي تعمل فى انقرة وغلاطية ، وذلك من شعر الماعز ، ومن هناك توزع على العالم » .
ونقرأ فى نص آخر من تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 116) : « وهو بغلطاق اطلس معدني بسنجاب مقتدرة » . وفى موضع آخر (مخ 2 ، ص 28) : « خلعة من خزانة السلطان كاملة مسنجبة مقتدرة » . وانني لا اتردد فى احلال مقندزة محل مقتدرة ومقتدرة الواردتين فى هاتين المخوطتين ، ذلك لان كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ، ج 8 ، ص 216 . راجع كذلك ص 271) قد برهن فى تعليقة قيمة ، على ان المقندز او المقندس يعني انه مؤلف من فراء القسطور Le castor وهو مشتق من كلمة قندز او قندس وهو القسطور . والخلاصة انني ترجمت النص الاول للنويري .

24) ورد فى كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) للدكتورة زيغريد هونكه :
ترجمة فاروق بيضون — كمال دسوقي ان كلمة Zamlott الالمانية هي زملوط العربية (قماش من وبر الجمل . وهي تقابل كلمة Camelot الفرنسية الواردة فى تعليق دوزي والمقابلة لكلمة مموج . فهل المموج يا ترى هو (قماش من وبر الجمل . ؟) المترجم .

25) لا ادري ، هل ينبغي ان اترجم (مقصب) بـ Broché d'or ام بـ : Orné de pierreries . ويظهر ان لين من الراي الاول ، ذلك لاننا حينما نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 567) : بعد ان زوقوا حيطانها بالقماش المقصب ، يترجمها هذا العالم (الف ليلة وليلة و ج 1 ص 536) : Stuffs interwoven with gold وحين نقرأ فى موضع آخر من نفس الكتاب (ط مكناكتن، ج 2 ، ص 222) : اخذت الستر وطرزته بالحرير الماون وزركشته بالقصب . فان لين يترجم ذلك بـ : Ornamented it with the gold and silverthread

= اما انا فاوثر ان اترجم (مقصـــب) بـــ : (Orné de pierreries) فان كلمة (قصـــب) تشير الى الاحجار الكريمة ، وفى بعض النصوص ، مثلا فى هذا النص الذي نقراه ، نكون حيـال تكرار للكلام بصورة محسوسة ، اذا ترجمنا (مقصب) بـ : Broché d'or .

واننى اعلم بان هناك من يعترض علي بأن كلمة زركش فى نص الف ليلة وليلة الاخيـر تعنـــي Brocher d'or ولكنني سأحمله علـى ملاحظة ان كلمة زركش فى الكتاب الذي اذكـره لا تعني احيانا الا : Orner magnifiquement زين بصورة رائعة . فنحن نقرأ فيه (ج 2 ، ص 46) زركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة . (راجـع حول كلمة رف وجمعها رفـوف : فليشـر De glossis Habichtianis, pag. 91 وعلاوة على ذلك ، فنحن نطالع فى تاريخ مصر للنويري (مخ 19 ب ، ص 25) : « ان خلع طرد وحش خلع طرد وحش مقصب » . وبعد ذلك (مخ 19 ب، ص 30) : « خلع الاثنين طرد وحش مقصب بذهب » . ويدور الحديث فى تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ، ص 377) عن : « نحو من ثمانين شقة اطلس مقصب . وفى كتاب (الف ليلة وليلة، 7 مكناكتن ، ج 1 ص 208) تسأل امراة : « هل عندك تفصيلة طرد وحش مقصب طرش » . ولمـا كانت كلمة طرش لا تهمنا هنا اي معنى ، فينبغي احلال كلمة بطرز (احتمالا) محلها . ولانني اتيحـت لي فرصة التحدث عن كلمة مقصب ، سأتحدث ايضا هنا عن كلمة قصبة ، وجمعها قصبات .

نطالع فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 576) : « وفى رقبته طوق من الذهـب الاحمر وثلاث قصبات من الزبرجد » . فيعترف لين (الف ليلة وليلة ، ج 1 ص 607 ، الطبعـة الانكليزية) بجهله معنى كلمة قصبات ومع ذلك يخمن انها تعني : (خرزات اسطوانية الاسـتطالـة (Oblong cylindrical beads) . واعتقد ان هذا التخمين فاخر بالنسبة لهذا النص ، ولكن الكلمـة نفسـها تعني قنزعة ، على الهيئة التي ذكرها لين ، لانني اقرأ فى كتاب النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 116) : (شاش تساعي مقعر (؟) بقصبات زركش (شاش مبروم تسع مرات حول الراس ... » . ويقول برين (رحلات ، ص 218 الخ ..) فى حديثه عن عمامة عرب القاهرة : « خمار من الحرير الاسود ، المنسوج مخططا بالذهب ،المزركش معظمه بقنازع من نفس الحرير » . (انظر الصورة المرقمة 90) .

ان كلمة تربة مفسرة فى القاموس بالكلمتـين اللاتينيتين : ضريح ، مقام ، مرقد : Tumulus, sepulchrum وهذا التفسير يعوزه بعض الدقة.فان كلمة تربة تشير فى مصر وفى بلاد البربر الـى : 1 — نوع ضريح كبير ، أو بناء حرى الى هيكل مشيد على جدث ، او معبد ، أو قبة ، فنحن نقرأ فى تقرير توشر دي نورنبرك (وصف الرحلات ، ص 268) : « وبعد ان اكتفينا بما راينا ، توجهنا الى مسجد صغير Muschkea غاية فى الروعة ، وهي تسمى كذلك تربة Turby : اذ هكذا يسمى ضريح امير دوادار Amirey Dyoderij . ولكـن هـذا الدوادار هو الذي امر ببناء هـذا المسجد الصغير البالغ الفخامة والبهاء الذي يمكن ان يكتب فوقه كتابات كثيرة » . ونقرأ فى تقرير هيلفريتش (تقرير مختصر واقعي عن رحلات، ص 390) : « ينبغي ان نعلم ان السادة الكبـار يبنون لانفسهم خارج المدينة دورا كبيرة او كنائس ، فى الاماكن التي يشاؤون ان يدفنوا فيها بعـد مهلكهم ، ويوقفون على هذه المشيدات بعض الدخول (الاوقاف (Gewisz eynkommen تكون وسيلة لتعيش جمهرة من الفقراء . وهم يسمون هذه الانواع من الاضرحة تربا Turbe » . ونقع على كلمة تربة بهذا المعنى كثيرا لدى المؤلفين العرب فى مصر . ففي الكتاب المعنـون (حكاية اقامة عشر سنوات فى طرابلس الغرب) ص ، 37) مسخت كلمة تربة الى تربر Turbar . ويقول مؤلف هذا الكتاب انها بناية تشبه المسجد ، وهي تضم قبور اعضاء الاسرة الملكية . وساجعلكم تلاحظون ، بصور عابرة ، ان الحرف النهائي Y فى هذا التقرير الانكليزي ، وهو يقابل الحرف(ة) فى نهايات الكلمات العربية ، قد حرف الـى الحـــرف R بصورة متصلة على وجه التقريب وهكذا بدلا من Skiffeh سقيفة) فاننا نقرأ كلمة (Skiffer سقيفر ، وبدلا من Nubah ، نوبـــه Nubar ، نوبـر ، وبـدلا مـن Teskerah (تذكرة) تذكرر Teskerar (ص 42) ، وبدلا من Aisheh (عائشة) ، Aisher عايشر (ص 69) .

وهذه التربة يستفاد منها كخانات وفنادق ، لاننا نقرأ فى موضع آخر من كتاب هيلفريـش (ص

والظاهر أن الفرجيات المصنوعة فى مصر قد اكتسبت شهرة طبقت الآفاق ، فلقد كانت تحمل الى الاقطار النائية . ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 246) فى معرض كلامه عن وزير الجزائر الملديفية : « وعليه فرجية مصرية من المرعز » (26) .

ويعرب دييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ، ص 2 ، مج 3) عن افكاره فى معرض وصف ازياء اتراك مدينة الجزائر على هذه الشاكلة : « انهم على العموم يلبسون بدل الازار رداء آخر من الجوخ الملون ، وهو ارجواني اللون عادة (اشكرلاط ، اسقلاط ، écarlate) أو من جوخ لندن ، Drap المعمول على طراز مدينة البندقية ، الذي ينزل حتى القدمين . وهو واسع فضفاض مفتوح من الامام . وهذا اللباس لا ياقة له ، ويسمى الفرجية Ferja له كمان واسعان اكثر من سعة كمي اليلك والخفتان Cafetan و Jalaco tajetan ذلك لانهما يغطيان الذراعين ، ويلبس اصحاب السمت والوقار وحسن الصيت ، هذا الرداء فوق الخفتان ، فى كل المواسم ، اما الآخرون جميعا فيرتدونه اذا عضهم البرد بنابه ، ذلك لان هؤلاء يطرحونه بصورة عامة على الكتف اليسرى مطويا اربع طيات ، اذا كلكل عليهم الحر او اعتدل مزاج الهواء ، والرحالون (مثلنا فى بلادنا) يلبسونه مع المعاطف ، وعلى هذه الشاكلة يدرج هؤلاء الناس فى المدينة » .

ويتحدث دابر كذلك فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، مج 1 ، ص 240) عن فرجية Ferezsya احد سفراء ملك مراكش ، الذين قدموا الى امستردام عام 1659 ، ولكن يذهب هذا المؤلف الى ان هذه الفرجية كساء كساه قصيران .

والفراجة فى القسطنطينية (ذلك لانها تكتب على هذه الصورة : فراجه) لا تختلف عن الفراجية المصرية. وبوسعكم رؤية وصفها لدى بيترو دلا فاله فى كتابه (الرحلة ، ج 1 ، ص 190) ، وفى كتاب تيفنو (قصة رحلة الى المشرق ، ص 56) وفى رحلة كورني دي بروي (ص 131 ، الخ) . ولكن هذا الرداء يرتدي كذلك فى هذه المدينة من قبل النساء لدى بروزهن من دورهن (تيفنو ، ص 106 ودي برين ، ص 132) . وهذه الحالة غير موجودة ، حسب عقيدتي ، لا فى مصر ولا فى المغرب .

وقد تسللت كلمة فراجة التركية الى اللغة اليونانية الحديثة : فيرتسيس . (ويخيل الي ان الكلمة الايطالية Ferrainolo ليست الا التصغير الايطالي للكلمة التركية فراجة ، وان الكلمة الاسبانية Herreruelo مشتقة من هذه الكلمة الايطالية .

الفرملة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقرر النقيب ليون فى (أسفار فى الشمال الافريقي ، ص 6) ان كلمة فرملة ــ وهو يكتبها Farmela تشير فى طرابلس الغرب الى: «صديري له شرائط واسعة من الذهب ، وهو مفتوح من الجهة الامامية ومزود بالازرار ، ولكنه محروم من العرى » . وهذا الصدار يلبس فوق سترة اخرى تسمى الصدرية . (راجع كلمة صديرية) .

الفرودية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكن لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 58 ، 59) يعرف الفرودية ، وهو يصف زي سيدات القاهرة بانها : « تنحصر بطاقية أو طربوش أو طرحة

386) : « هذه الدار اسمها لدى المغاربة (خان) ، وحولها بيوت عديدة يقطنها المغاربة والتجار وبجوارها كذلك بيوت تجارية (Kauffhâuser) حيث يقيم التجار الاجانب الوافدون مع القوافل ، وهي تحمل اسم تربة . وقد اشاد قواعدها كبراء القوم الذين بنوها ايذكرهم الناس بعد هلاكهم . وفى هذه البنايات يحصل كثير من الفقراء على قوتهم » .

2 ــ تشير هذه الكلمة الى مقبرة . فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 75) : « جاء الى قبر فى وسط التربة » . وفى رحلة نيبور (رحلة الى البلاد العربية ، ج 1 ، ص 206) نرى تفسير كلمتي « تربة اليهود » : « قبور اليهود » .

26) توجد كلمة مرعز ايضا فى كتاب ابن بطوطة ، مشيرة الى نوع من النسيج (ص 129 ، 140 ، 213) ويبدو انه نسيج من الصوف ، لاننا نقرأ فى موضع آخر ، لدى المؤلف نفسه (ص 99) فى مقاله عن بلدة ماردين : « وبها تصنع الثياب المنسوبة اليها ، من الصوف المعروف بالمرعز » .

مربعة تسمى فرودية معمولة من الشاش الموصلي المطبوع او المنقوش او من الكريشة . وهي تشد شدا وثيقا حول الراس ، ومجموع هذه العمرة يدعى ربطة (27) وكان اثنان او اكثرمن هذه المناديل شائع الاستعمال بصورة عامة ، منذ عهد ليس ببعيد، وذلك لتكوين عمامة سيدة ، وما تبرح هذه الزينة الراسية تستعمل في بعض الاحايين لهذا الغرض ، ولكن في هذه الحالة تكون هذه المناديل مسواة بشكل يؤلف منه اكليل للراس عال مسطح بحيث انه يختلف كثيرا عن عمامة الرجال .

الفـــروق

لابد ان تشير هذه الكلمة — التي عبثا انقب عنها في جميع المعاجم العربية والفارسية — الى نوع عمرة راس ، ذلك لان ابن بطوطة (الرحلـــة ، مخ دي كايانكوس ، ص 191) يقول ، في وصف مدينـــة : Dehli « ويمشي بين يديه ايضا النقباء وهـــم ثلاثمائة وعلى راس كل واحد منهم فروق ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب » . والآن يتحتم علينا ان نعلم ما اذا كانت هذه الكلمة مغربية ام فارسية ، ومعنى ذلك ما اذا كان ابن بطوطة يود الاشارة الى ان هـــؤلاء الناس كانوا يلبسون عمرة ام طاقية ، واسم ذلك في المغرب فروق . ام ان اهل Dehli يسمون هذا الشيء بهذا الاسم . وبما انني لم اصادف كلمة فروق في مكان آخر ، فليس بمقدوري ان اجزم براي حول هذا الموضوع .

الفـــــس

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ونحن نعلم ان الاتراك في القسطنطينية يسمون الطاقية التي يلبسونها تحت العمامة (فس) ، وهذه العرقية تستعير اسمها من مدينة فـــاس Fez وبوسعنا مقارنة الوصف المفصل الذي دبجه فيسكيه في كتابه (رحلة في الشرق ، ص 183 — باللوحة) — واذا آمنا بما يقوله نيبور في كتابه : (رحلة الـــى بلاد العرب ، ص 59) فان الفس يحمل نفس الاسم في بلاد الغرب . (ويكتب الرحالة هذه الكلمة : Fâs) ولكن نيبور يعلمنا ان العرب يلبسون عشرة او خمسة عشرة من هذه الفيوس (الطاقيات) مرة واحدة ، بعضها مصنوع من نسيج الكتان ، وبعضها مشغول من الجوخ الكتان الموشى بالقطن ، والتحتاني منهـا مطرز بالذهب احيانا . (ولم اجد هذه الخاصية في مكان آخر) . ومعظم هذه الفيوس مكتوب عليه هذه الجملة : لا اله الا الله محمد رسول الله . او آية من آيات القرآن الكريم . ويؤكد المقيد سكوت في كتابه (يوميات اقامة في مخيم الامير عبد القادر الجزائري المسمى « اسم الله » ، ص 5 ، 6) ان الطاقيـــة او العراقية الحمراء المسمـــاة بالفيـــس Fez تلبسها عساكر امبراطورية مراكش عن بكرة ابيها .

الفشطـــان

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن يقول ابن بطوطة (الرحلة — مخ دي كايانكوس ص 59) — في معرض حديثه عن شيخ مكـــة : « وكنت اراه حين ذلك لابسا جبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالفشطان . كان يلبسها في بعض الاوقات » . فهل يا ترى يمكن ان تكون كلمة فشطان هي الكلمة التركية فستان ؟ انني لا اجرؤ على الجزم — ذلك لان هذا الثوب لا يلبسه الا النساء (راجع معجم منينسكي Meninski ووصف مصر — ج 18 — ص 112) ومن جهة اخرى ارى من باب العجائب الوقوع على كلمات تركية تستعمل في مكة في القرن الرابع عشر الميلادي — اي على وجه التقريب قبل غزو العثمانيين لهذا القطر بقرنين .

الفشطـــــول

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وكانت عمرة راس تحمل هذا الاسم في اسبانيا ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) — قـــــال : Velo assi فشطول — وجمعه فشاطل ، بعد ان فسر كلمات :
(Velo o toca de muger) بـــ (عمرونة) .

---

27) لا وجود لكلمة ربطة في القاموس . ويقـــول الكونت دي شابرول كذلك (وصف مصر ، ج 8 ، ص 113) ان الربطة تشير الى جماع عمرة الراس. وكلمة ربطة تشير ايضا الى حزمة وطرد . فنحن نقرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 3 ، ص 177) : فامر التاجر العبد ان ياتيه بربطة الحرير من صدر الدكان . فاتاه بها واخرج منها عدة قناعات .

الفنجـــــان

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بوصفها تشير الى شبه عمرة : عصابة Coiffure ويقول كوبان في كتابه (درع أوروبا — ص 220) وهو يصـف زي سيدات القاهرة : « يعتمر راس المراة في القاهـرة بقبعة من الكارتون يبلغ ارتفاعها قدما واحدة وهـي مطلية بطلاء ذهبي او مرسومة حسب طبقة الاشخاص — وتكون أحيانا مغطاة باوراق من الفضة — ويخرج من ارتفاع الراس تحت القبعة جزء من منديل ينساب حتى الجبهة مخفيا كل شعرها الامامي » (انظر ايضا المرجع السابق — ص 248) .

وانني أعترف بعدم وقوعي في موضع آخر على كلمة فنجان — لا عند مؤلف عربي ولا لدى رحالـة اوروبي . ومع ذلك فان كوبان هو جوابة دقيق الاحكام جدير بكل ثقة واحترام . وهو بالرغم من ضآلة شهرته محل للركون اليه اكثر مما يستحق الافاقون المحدثون الذين يتمتعون بشهرة واسعة . وفضلا عن ذلك فليس مما لا يحتمل وقوعه ان تخلع كلمة فنجان على نوع من انواع الطاقيات . والفنجان هو كأس القهوة (لاحـظ صورة الفنجان لدى لين) (المصريون المحدثون — ج 1 — ص 205) الذي لو قلبناه راسا على عقـب لشابه بعض المشابهة من ناحية الشكل القبعـة Couvre-chef التي يصفها كوبان . وان ما اعرضه هنا مؤيد — كما يخيل الى — بالنص التالي لدارفيـو d'Arvieux في كتابه (رحلة من فلسطين صـوب الامير الأعظم — ص 211 .

Voyage dans la Palestine vers le Grand Emir, pag. 211)

« ان زينة رؤوس نساء البدو هي طاقية مـن الذهب او من الفضة — مشكلة على هيئة قصعـة صغيـرة écuelle او قدح gobelet ») .

لا اقول ان دارفيو يتحدث عن الفنجان — اذ من المحتمل كثيرا انه يتكلم عن العرقية ليس غيرها . ولكن حين يقارن رحالة اوروبي نوعا من العمرة Coiffure بقـدح Gobelet افلا يحتمل كل الاحتمـال ان يكون العرب قد طبقوا اسم كأس على عمرة مماثلة ؟

الفوطة ومصغرها الفويطة (28)

كان سليفستر دي ساسي (طرائف عربيـة . ج 1 ؛ ص 195) قد تحدث بكثير من الاسهاب عن الفوطة ، وكذلك فعل فريتاك .

---

28) انني اثبت هنا مختلف المدلولات التي وجدت ان كلمة فوطة تدل عليها . وهي لا وجود لها في القاموس. وكذلك مختلف انواع الالبسة التي تشير اليها هذه الكلمة ؛ الموجودة في النص . فكلمة فوطة تشير

1 — الى منشفة . يقول ابن بطوطة (الرحلة ؛ مخ دي كايانكوس ، ص 191) في معرض حديثه عن ملـك Dehli : « فان كان عيد الاضحى اتى السلطان بجمل ، فنحره برمح ، يسمونه النيزة بكسر النون وفتح الزاي بعد ان يجعل على ثيابـه فوطة حرير توقيا من الدم . وفي موضع آخر (مخ ، ص 146) يقول الرحالة نفسه ، متحدثا عن بلغار الفولغا : « وياتي الباروجي وهو مقطع اللحم وعليه ثياب حرير قد ربط عليها فوطة حرير » . ونقرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ؛ ص 578) : « سفرة مغطاة بفوطة من الحرير » . وكان العبيد يرتدون عادة فوطة ؛ على اوساطهم حين يتناول السيد طعامه . (راجع الف ليلة وليلة ؛ ط هابيخت ؛ ج 3 ، ص 300) . وفي ايامنا هذه يستعمل كل احد فوطة او منشفة (Napkin) اثناء تناوله الطعام . راجع لين (المصريـون المحدثون ج 1 ص 212 وفي مصر يستعملون اليوم هذا المثل : « فوطة بحواشي وما تحته شي » الذي يترجمه بركهارت (الامثال العربية ؛ رقـم 482) على هذه الشاكلة : « منشفة لها حواش جميلة ولا شيء تحتها » . ويضيف بركهـارت : « هذا المثل يعني : كثرة صخب وقلة عمل ، اسمع جعجعة ولا ارى طحنا : (Puff without reality) . [illegible] هم التي يقدمونها الى علية القوم فوق لوحة او طبق ويغطونها بفوطة او منديل، مطرز اجمل تطريز».

2 — وتشير كلمة فوطة 2 — الى شرشف، شف.فنحن نقرا في الرحلة الى فلسطين صوب الامير الاعظم (ص 18) لمؤلفها دارفيو : « وهناك شرشف عظيم من التيل والكتان المرقط بـازرق وابيـض يسمونه فوطة ، وهو يستعمل كشرشف تحتاني » . ونقرا كذلك في تاريخ ابي الحسن الماجـن ، الموجود في طبعة هابخت لكتاب الف ليلة وليلة (ج 4 ؛ ص 171) ان هـذا الرجـل تظاهـر بالموت فامر زوجته ان تغطيه بالفوطة الحريرية (فانشرى على فوطة حرير) .

اذن فقد كان القدماء يغطون موتاهم بالفوطة ، اي على ما ارى بشرشف . ونستخلص من تعليقة لين

وكلمة فوطة ، الهندية الاصل ، كانت تستعمل على راي الشراح والمعجميين العرب ، للاشارة مبدئيا الى نوع من البز مجلوب من الهند . ولكن بعد ذلك طبقت الكلمة على انواع مختلفة من الملابس كانت بلا ريب مصنوعة في الاصل من هذا البز . فهي تشير اذن الى :

1 — نوع من السروايل ، او بالاحرى الى شقة من البز بحيث ان الاعراب الذين لا يلبسون السراويل المعهودة يستعملونها لستر عوراتهم وافخاذهم ، ومعنى ذلك مئزر un pagne فنحن نقرأ في نص من (مقامات الحريري ، ص 254) ؛ وقد سلف لساسي ان ذكره : « واستئفر بفويطة » ، ومعنى ذلك على راي الشارح ، لبس فويطة او فوطة صغيرة لف بها وركيه ، وشد طرفها في وسطه ، بجعلها تمر بين وركيه . يقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، 106) في معرض كلامه عن سكان (مقدشو) Magadoxo « وكسوتهم فوطة خز يشدها الانسان في وسطه عوض السراويل فانهم لا يعرفونه » .

ويقول المؤلف نفسه في موضع آخر ، متحدثا عن ملك (هنور) Hinaur في الهند : « ويشد في وسطه فوطة . ويقرر شوقي كتابه (رحلات خلال بلاد البربر والشرق ، ص 324 ، ج 1) وقد ذكره دي ساسي ، ان النساء في بلاد البربر يخلعن سراويلهن حين يكن في بيوتهن ، ويشددن حول افخاذهن شقة من البز ، تحمل في بلاد البربر وفي المشرق اسم فوطة.

وكانت تصنع هذه الفوط من مختلف انواع البز، ذلك لانني اقرأ في كتاب ابن بطوطة (مخ ، ص 259) حول سومطرة : « واخرج من البقشة ثلاث فوط احداها من خالص الحرير والاخرى حرير وقطن والاخرى حرير وكتان ... فلبست فوطة منها عوض السراويل على عادتهم » . وفي الكتاب المعنون عيني اكبرى (عيون الاخبار ؟) (مخطوطة فارسية 1398) ان البز المسمى فوطة يعتبر من الزركش Lesbrocarte والظاهر ان الفوط اليمانية كانت مشهورة . فعلى الاقل نحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 36) : « قامت الجارية على مهل واخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها » . ويبدو ان هذا الكساء كثير الاستعمال في بلاد العرب الاصلية ، اذ طالما تحدث عنه الرحالون ، ولا اتردد عن الاعتقاد بأن نيبور في كتابه (وصف الجزيرة العربية ، ص 60) يعني ، بكل ما يستطيع ان يعني ، الفوطة حين يذكر « شقة البز المشدودة حول الفخذين ، المتدلية حتى الركبتين ، التي يرتديها العرب على العموم . وهي الفوطة ايضا التي يتحدث عنها بركهارت (اسفار في بلاد العرب . ج 1 ، ص 336) ، حين يقول : « لا يلبس الرجال من سواد الشعب عادة في الصيف الا قميصا ، وحول الفخذين شقة من المشوش الاصفر المشغول في الهند ، او من الكتان الارقط المخطط المصري . بدلا من السراويل » .

ويبدو ان كلمة فوطة تستعمل ايضا للاشارة الى 2 — نوع من العمامة ، الى شقة بز تلف الراس لفا . ولا اتذكر انني وقعت على هذه الكلمة بهذا المعنى الا عند المقريزي (لدى سيلفستر دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 1 ص 65 من النص) الذي يخبرنا ان الحاكم بأمر الله كان يلبس اثناء جولاته على جواده . نعلين في قدميه (وفوطة على راسه) .

وتشير كلمة فوطة الى 3 — شقة بز توضع على الظهر للتوقي من الشمس . يقول ابن بطوطة (مخ ، ص 109) في معرض حديثه عن مدينة ظفار (وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي ، ص 108: « ولباسهم القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند ويشدون الفوط في اوساطهم عوض السراويل واكثرهم يشد فوطة في وسطه ويجعل فوق ظهره اخرى من شدة الحر » .

وختاما فان كلمة فوطة تشير الى 4 — المئزر الذي يشد حول الوسط لدى الدخول الى الحمام . ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ ، ص 92) واصفا حمامات بغداد الفخمة : « وكل داخل يعطي ثلاثا من الفوط ، احداها يتزر بها عند دخوله ، والاخرى يتزر بها عند خروجه ، والاخرى ينشف بها الماء عن جسده . ويسمى دلاموتري De la Motraye في كتابه (الاسفار ، ج 1 ، ص 7) هذا المئزر (او الميدعة . tablier (باسمها التركي Esthimale اي الشتمال) ، ويقول انه معمل من تيل القطن الازرق او الاسمر .

(ج 2 ، ص 378 ، 17) حول هذا النص ان هذه العادة لم تعد سائدة هذا اليوم .

3 — ومن كلمة فوطة استنبط فعل فوط. فنحن واجدون في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 46) : « فوطه في وسطه بفوطة من الحرير مزركشة بالذهب » .

الفـوقـانيـــــة

نستخلص بالبديهة من احد نصوص تاريخ مصر للنويري نشرناه حول كلمة « بقيار » ، ومن نص آخر نحن على وشك ايراده حول كلمة « قبـــع » ، ان الفوقانية فى العهود القديمة لم يكن يلبسها الا القضاة. ولكن بعد الغزو العثماني لمصر لم تبق الحالة بهذا الخصوص على ما كانت عليه . واعتقد ان كلمة فوقانية تشير الى شبه « فرجية » ، ذلك لاننا بدل الكلمات التي نقراها فى طبعة هابيخـــت Habicht لكتاب الف ليلة وليلة (ج 2 ، ص 71) وهو النـص الذي أورده فريتـــاك Freytag قائلا : « وهذا شاشه على الكرسي (29) ونمشته (30) وفوقانية » نرى طبعة مكناكتن Macnaghten (ج 1 ، ص 178) تقول : « واخذ الشاش والطربوش واخـذ الفرجية » . وعلاوة على ذلك ، فاننا نطالع فى موضع آخر من الكتاب نفسه (هابيخـت ، ج 1 ص 34) « وارخى فرجيته وكانت فوقانية » ولكن اذا كـان هناك فرق بين الفرجية والفوقانية ، وهذا ما لا يبدو لي متعذر الاحتمال ، فارى من المحتم علي ان اعترف بجهلي بماهية هذا الاختلاف . ولكن استنادا الى نص النويري الذي ستقرأونه حول كلمة « قبع » ، ارى وجها للاحتمال بأن الفوقانية هي الجبة . وايا كانت الحقيقة ، فان الجبة لا تختلف كثيرا ، من ناحيـــة الشكل ، عن الفرجية .

القبع وجمعه الاقباع

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكن فى قائمة الكلمات العربية التي أوردهـــا بريتنباك — فى كتابه (وصف رحلة وحج — ص 115) وهو الرحالة الذي زار الشرق سنة 1483 — فسرت كلمة كوبيت Cobeth بكلمة كاب Cappe (كلوتة — طاقية — عرقية) . والواقع ان الكلوتة هي التي تدعى اليوم فى مصر طاقية او عرقية — وهـي التي توضع تحت الطاقية المسماة بالطربـــوش — الذي يحاط بعد ذلك بقطعة من البز — لتاليـف العمامة التامة على هذه الشاكلة . واذا وجدنـا فى طبعة مكناكتن لالف ليلة وليلة (ج 1 — ص 172) هذه الجملة : « فنظروا شابا مليحا بقميص وطاقية كشف من غير لباس — فان طبعة هابيخت (ج 2 — ص 63) تورد فى هذا الموضع : « وهو شاب مليح مخفف اللباس بقبع كشف وقميص بلا سراويل » . ونقرا فى موضع آخر من نفس الكتاب (ط هـ — ج 2 ص 29) : « خيطها حرزا فى قبعه تحت شاشية » . ومعنى ذلك خيطها فى القبع الموجود تحت طاقيته او قبعه . وبعد ذلك (ط هـ — ج 2 — ص 60) : « بقي بقميص وقبع » . وبعد ذلك بقليل — فى نفـس القصة (ط هـ — ج 2 — ص 62) : « وهو على حالته بقبع خطاي ازرق وقميص الخ .. وكلمات : « قبع خطاي ازرق » تعني ولا ريب قبعا ازرق مصنوعا من بز خطاي — ومعنى ذلك من حرير الصين — لاننا نقرا كذلك لدى ميرخوند : تاريخ السلاجقة — ص 11 — Mirkhond (Historia Seldschukidarum

« واذ نفائس مملكت خطاي جامهاي كرانمايه بـــه او بخشيده » . « اهداه ثيابا ثمينة — منتقاة من افخـر ملابس مملكة خطاي » . : اي من مملكة الصين . والنص التالي موجود فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 — ورقة 103) : « عرضت عليه الوزارة فى الدولة المنصورية فاباها وتنصل منها كل التنصل . وبالغ فى ردها كل المبالغة . وانتهى حاله فى الفصل منها . الى ان حضر الدركاه (31) بباب القلعة وقل طيلسانه وقلع عمامته وفوقانيته (32) وبقي بقبع ودلق . وهو قائم . فقام الامراء لقيامه وصاروا حوله حلقـة . وهـم لا يعرفون موجب فعله لذلك . ثم جاء نائب السلطنـة الامير حسام الدين طرنطاي وهو على هذه الصورة فتالم. وساله عن خبره ، فقال له : انا انما وصلت مـــن بلدي بمثل هذا الملبوس الذي علي وانا اكتسبـــت

---

29) ان كلمة كرسي كثيرة الوقوع ، بهذا المعنى فى كتاب الف ليلة وليلة . وهي تشير هناك الى مقعد يستعمل بخاصة لوضع العمامة عليه ، اثناء الليل . وهذا الاثاث يسمى كذلك « كرسي العمامة » . ويصفه لين مفصلا فى احدى تعليقاته الجميلة حول ترجمته الانكليزية لكتاب الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 325) ، وهو يتحدث عن كرسي العمامة كذلك فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 47) .

30) راجع حول كلمة نمشة كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ق 1 ، ص 172 .

31) الدركاه بباب القلعة : او صحن للدار .

32) لا معنى لكلمة قل هنا واعتقد ان الجملة تكون صحيحة لو قلنا وقلع طيلسانه وعمامته وفوقانيته . ولعل كلمة قل هي فل .

بصحبتكم وخدمة السلطان زيادة على ما جئت به وهو هذا الطليسان وهذه الجبة والعمامة . فان ضمنت لي على السلطان اعفائي من هذا الامر الذي طلبنـــي بسببه وابقائي على ما انا عليه والا فلا ارجع الـى لباسي هذا ابدا وارجع الى بلدي بهذه الحالة . فبكى الامراء وعظموه والبسه نائب السلطنة قماشة وضمن له صرف الوزارة عنه (33) .

وان جمع كلمة قبع — وهو اقباع — يوجد في مسالك الابصار (راجع كاترميـــر — تعليقـــات ومقتبسات — ج 8 — ص 215 ، وفي (وصف مصر للمقريزي — ج 2 — مخ 372 — ص 354) . وفي موضع آخر (ج 2 — مخ — ص 361) يتحـــدث المقريزي عن سوق الاقباعيين — ولكن في هـــذه البقعة لا يجود بأي تفصيل عن اللباس الذي نرغنا من الكلام عنه (34) .

القبقـاب ، القبقـاب

القبقاب ، او كما يلفظ عامة في مصر هذا اليوم ، القباب ، هو على راي لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 61 ، 62) السنبك sabot او المزلـج patin الذي يعلو عادة عن الارض اربع او ثلاث عقد ، وهو مزركش في الاغلب الاعم ومرصع باصداف اللؤلؤ او الفضة ، الخ .

ويستعمله الرجال والنساء ، دائما وعلى حد سواء ، داخل الحمامات ، ولكن النساء لا يلبسنه في بيوتهن الا نادرا . وبعضهن لا يلبسنه الا لتفادي تجرير ذلاذل اثوابهن على الارض ، وبعضهن يستعملنـــه لاطالة قاماتهن ، اي لاظهار انهن طويلات القامات . ويقول بركهارت (الامثال العربية ، ر 143) راويا هذا المثل : بدال مشيك بقبقابك شيلي شراميطك من اكعابك (بدلا من المشي على القبقاب ارفعي اسمالك عن كعبيك) وتعني الشرموطة في مصر العاهرة ... والقباقيب هي عكاكيز échasses او بوابيج من الخشب mules de bois ولها من الارتفاع اربع او خمس عقد ، فوقها تدب النساء في الحمامات ، وتدرج عليها نساء طبقة النبلاء في بيوتهن . ونساء الطبقات الراقية يزركشن قباقيبهن بمختلف القنازع الفضيـــة ويطرزنها ويرصعنها بأصداف اللالىء » .

وبوسعكم رؤية كل هذا النوع الغريب مـــن الاحذية في كتاب (بلون ، ملاحظـــات ، ص 24) (Belon, observations حيث احدى النساء تلبس مزلجين يعلوان عن الارض كثيرا » . ويقول كوبان في كتابه ، درع اوروبا ، ص 220 .

في معرض حديثه عن نساء القاهرة : « لهـن مزالج تعلو ست او سبع عقد عن سطح الارض ، ولا يجود صنعها الا في ايطاليا » .

ونجد القباقيب كذلك في سورية . فان راوولف Rauwolf في كتابه (وصف حقيقي لرحلة ، ص Aigentlich beschreibung der Raysn) 50

يعبر عن ذلك بهذه الكلمات : « في البيـــوت والدروب يلبسون كذلك غالبا احذية من الخشـــب (holzschüch) . وهي تعلو عن الارض اكثر من خمسة عشر سنتيمترا ، وهي مقورة تقويرا عميقا من الباطن، في الوسط ، بين القطعتين الخشبيتين اللتين تمسان الارض ، وهي مطلية طلاء جميلا بعدة الـــوان . وتلبسها النساء كذلك » .

ونرى من كتاب كورني دي برين الرحلات ، ص Corneille de Bruyn Reizen 362

ان هذا الحذاء كانت تلبسه كذلك سيدات حلـب . ويعطينا هذا الرحالة شكله (ص 189) . وما يزال مستعملا في هذه البلدة حتى ايامنا هذه ، لان ريشتر Richter في كتابه ، رحلة الشرق الاوسط ، ص (Wallfahrten im Morgenlande 263

يقول : « النساء في بيوتهن يدرجن فوق المزالـــج الانيقة المرصعة باصداف اللآلىء » (Stelzschuhen) والقباقيب شائعة الاستعمال ايضا في بلاد العرب . فالاعراب يلبسونها غالبا في منازلهم ، كما ذكر ذلـك نيبور Niebhur في كتابه ، وصف الجزيرة العربية،

---

33) تشير كلمة قبع في المغرب الى قبعة البرنس او القبلار — كما يؤكد ذلك صراحة دابر (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا الشمالية ، ص — 24 ، مجم 2) ، فهو يكتبها برسم (كوب) Kob اما دييكو دي توريس فيرسمها في كتابه (قصة الشرفاء ، ص 86) بشكل (كابان) Caban واما عن كلمة قبعا الكلدانية فلم استطع تقبلها في النص ، لانني حتى الآن لم اعثر عليها لدى مؤلف عربي ، وارتاب كل الارتياب في لباس العرب حقيقة لهذه العمرة . والكلمة الكلدانية تشير الى ما يشبه العمامة (راجع قاموس بكستورف Buxtorf اما القاموس (المحيط) فيفسر القبعة بالبرنس .

34) ظهر لدى التحقيق ان الكلمة بالسريانية (قبعو) وبالكلدانية (قبعا) وبالعبرية (قوبع) — (المترجم)

ص 60 Beschrijving van Arabie
ويعطينا شكلها (اللوحة 2 ، A.B.C.) .

ولما كان لهذا النوع من الحذاء ارتفاع يبلغ عدة عقد، فلن يظهر بمظهر الغرابة للور Le Lore بشهادة مؤلف مسالك الابصار (ملاحظات ومقتبسات ، ج 8 ص 331) كان يمشي على الحبل وهو لابس القبقاب ، فيشده المتفرجين ، ذلك لأن فن الرقص على الحبال في مصر وسورية لم يكن قد وصل بعد الى هذه الدرجة من الكمال العجيب التي بلغها في بلادنا .

ولم اقع على هذا الحذاء لا في المغرب ولا في الاقطار الشرقية . ومع ذلك فيبدو انه كان شائع الاستعمال في اسبانيا، ذلك لان بيدرو دي الكالا يترجم كلمات çanco de palo بكلمة قبقاب .

القبيلة ــ القبلار ــ القبلار ــ القبنور

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن في اللغة الاسبانية تعني كلمة Capilla القبع Capuchon . وقد تسللت الى لغة عرب اسبانيا ــ ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات عربية) يترجم Capilla de capa بـ : قبيلة ــ وجمعها قبابل . اي قبع المعطف . ومن Capilla تألفت Capillar او Capellar معطف له قبع . ويفسر كوباروفياس (كنز اللغة القشتالية ــ مدريد ــ 1611) : بـ Capellar

La cubierta a la Morisca, que sacan en los juegos de cañas por librea, de marlota y capellar

ويبدو ان مغاربة اسبانيا كانوا يلبسون الـ capellar فوق المرلوطة marlota وان المؤلفين الاسبان يتحدثون كثيرا عن الـ Marlota y capellar التي كان يلبسها الفرسان العرب . (راجع اغاني الموريسكيين الشعبية ــ ص 60 ــ 130 ــ 131 ــ 147 ــ وانظر حروب غرناطة الاهلية ــ ص 162 ــ 175 ــ 200 ــ 237) . واذا آمنا بما يقوله شارح قديم للحروب الاهلية (ص 109) فان كلمة capellar تشير الى برنس صغير على الطريقة التركية يشد تحت الذراع اليمنى . وفي كتاب (كنز اللغات الثلاث لفيكتور (جنيف 1609) كما في (كنز سيزار اودان (بروكسل 1625) نجد كلمة capellar مترجمة بكلمتي : معطف الجندرمة Manteau de gendarme.

وعلى الرغم من ذلك يظهر ان كلمة قبلار كانت تعني في لغة التخاطب العربية في اسبانيا القبع Capuchon وليس المعطف او الازار ــ ذلك لان بيدرو دي الكالا يترجم بكلمة قبلار وجمعها قبلارات ـ capirote vestidura (capuchon)

ويظهر ان قبيلة كانت شائعة الاستعمال بمعنى المعطف القبعي manteau à capuchon

لان المؤلف المذكور يترجم cugulla con capilla بقبيلة وجمعها قبابل .

والامر في المغرب معكوس ــ فقبلار كانت تستعمل للدلالة على المعطف المقبع manteau à capuchon اذ يقول ديبكو دي توريس في كتابه (قصة الشرفاء ــ ص 86) عن سكان مراكش : « ان ملابس الرؤساء مشغولة من الحرير ــ وهم يسمونها capellares وهي شبه معاطف طويلة ــ ولها اقباع capussons او cabans . (راجع كلمة قبع) من الحرير او الصوف . ويقول مارمول (وصف افريقيا ــ ج 2 ص 102 ــ مج 2) ان العمال والرجال من سواد الشعب الآخرين ــ ولاسيما العساكر المشاة ورماة البنادق والقواسين الخيالة ــ يرتدون معاطف يسمونها capellares مصنوعة من الجوخ الازرق او من لون آخر فوق اللباس المحتمل ان يكون القفطان » . ونقرأ في بحث دابر (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ــ ص (240 ــ مج 2) عن زياء السفراء المراكشيين الذين وصلوا الى امستردام عام 1659 : « ان السفير محمد كان يرتدي جباءة قريبة الشبه بـ Chanijf (خنيف) السفير ابراهيم ــ ولكن كان له من الخلف قبع له قنزعة في نهايته (35) كما يمكن رؤية ذلك في الشكل المرفق . واسم هذا اللباس Bornouz (برنوس) او Bornos (برنس) ولكنه كان مقفلا من الخلف تماما . ويصنع عادة من شعر الماعز ــ المرعز ــ مثلا ــ او من صوف نعجة سوداء ــ واسمه بالعربية Kalmoouz او Sjaraba ويسمون الكبوشون Le capuchon Kob (القبع) ولكن قلما يستعملونه لتغطية رؤوسهم » .

ولم اعثر على كلمة Kabbenur قنبور في موضع آخر ــ واعتقد ان كلمة Kabba هي الكلمة الاسبانية Capa ولكنني لا استطيع تقديم اي تخمين حول المقطع الاخير nur .

35) القنزعة Houppe - Flocon تسمى كذلك شرابة .

لو آمنا بما يقوله فريتاك Freytag لقرانا لدى الجوهري :

« Tunica virilis exterior. Persica ; Quae sub axilis per obliquum duplicatur »

وترجمة هذه العبارة : « لباس خارجي للرجال — فارسي الاصل — يطوى تحت الابط بصـــورة منحرفة » . ولكن لسوء الطالع لم يقل الجوهري كلمة واحدة من هذه الكلمات المزعومة (36) .

والرحالة الاوروبي الوحيد الذي اوضح لـي ماهية قباء الاعراب هو روولف — الذي جاس خـلال الشرق عام 1573 — فهو يقول واصفا زيه الـذي اصطفاه لنفسه بغية السفر من حلب الى بغـــداد (وصف حقيقي للرحلات — ص 133) انه هو نفسه ورفاقه أوصوا لانفسهم بادىء الامر بعمل (اقبيـة (Cabas طويلة زرقاء (Blawe lange caban كانت مقفلة من الامام بازرار ومقورة تمام التقوير فى موضع الرقبة — وهي تشبه بعض الشبه ملابـــس الارمـن (Der Armenier nit ungleich) فعسى أن يكون هذا الثوب هو نفس الثوب الـذي تحدث عنه آنفا (ص 49) — فى معرض وصفه لازياء سكان طرابلس » . انهم يحبون الملابس البديعـــة الالوان — اذا لم تكلفهم غالبا — وهذه الملابس مقبولة الطول ولها ازرار من الجهة الامامية » . وتحت هذا اللباس يلبسون الجبة . اذن فالقباء قد احتل مكانـة فرجية ايامنا هذه . (ولا مشاحة ان كوتوفيك حين يكتب فى كتابه — رحلة — ص 487 — كلمة : Gaba يعني بها العباءة وليس القباء) . وعلى النقيض من ذلك هناك نصان من تاريخ اليمن يحملانا على التفكير بأن القباء هو القفطان نفسه . وعلى هذا فان القفطان يلبس تحت الجبة . فنحن نقرأ فى هذا الكتاب (مخ 477 — ص 298) : « خلع على الامير — خلعـة نبيلة (37) من أجل القفاطين القباء » . وفى موضع آخر : (ص 319) : « خلع على ابراهيم بن المظاهر قفطانا من القباء الصراصر » (38) . والعلة التـي تجعل هذه النقطة وافية الغموض — هو انه — منذ أكثر من قرنين — لم يعد هذا اللباس يرتدى من قبل العرب . والمؤلفون القدامى لهذه الامة لا يصفون حاجة كانت معروفة من قبل العموم فى زمانهم — والرحالة الاوروبيون لم يستطيعوا ان يصفوا الاشياء التي لم يعد لها وجود اثناء زياراتهم للاقطار العربية .

لقد كان القباء شائع الاستعمال فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . فنحن واجدون فى صحيـــح البخاري (ج 2 — مخ 356 — ص 167) بابا عنوانه: « باب القباب وفروج حرير » حيث نقرأ : « قسـم رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبية ولم يعط مخرمة شيئا . فقال مخرمة : « يا بني انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فانطلقت معه . فقال : « ادخل فادعه » . فدعوته له . فخرج اليه وعليه قباء منها . فقال : « خبأت هذا لك » . قال : « فنظر اليه » فقال : « رضى مخرمة » ويقرر المقريزي (وصـف مصر — ج 2 — مخ 372 — ص 350) — ان الامراء والجنود والسلطان نفسه كانت ملابسهم ايام الدولة الجركسية هي : (اقبية اما بيض او مشهره احمر

---

36) صدق دوزي . لا وجود لكلمة قباء فى قاموس الجوهري . (المترجم) .

37) ينبغي اضافة معنى كلمة Magnifique التي تعطي صفة نبيل احيانا ، الى القاموس . فنحن نقرأ فى موضع آخر من تاريخ اليمن (مخ ، ص 303) : « امر لهما بصلة نبيلة » . وكلمة نبيل كذلك تؤخذ بمعنى لطيف ورقيق وبمعنى البشاشة . فنحن نقرأ فى كتاب المراكشي (المعجب ، مخ 541 ، ص 139) : « تلقاه لقاء نبيلا » .

38) كلمة صراصر التي لا وجود لها فى القاموس تعني العظيم ، ولا يظهر انها تستعمل الا فى معرض الحديث عن الجمال من النوع المسمى بختي . ويتحتم علي ان أعترف انني لم اعثر فى موضع آخر على كلمة صرصور وجمعها صراصر، بمعنى، نبيل عظيـم Magnifique الذي تعنيه دون شك هنـــا . ولكنني ساحملكم على ملاحظة ان كلمة عظيم التي لا وجود لها ايضا فى القاموس ، الا بمعنى كبير، تعبر غالبا عن فكرة نبيل ، لطيف ، رائع ، فاخر . فنحن نقرأ فى تاريخ اليمن (مخ ، ص 21) : خلع عليه خلعة عظيمة » . وفى موضع آخر (ص 61) : « دخل الامير عبد الله مدينة صنعاء فى هيئـة عظيمة » . وكذلك (المرجع السائف) : « عمل هنالك سماطا عظيما لم ير مثله » . واخيرا (ص 298): « فدخل مدينة صنعاء ذلك اليوم فى هيئة عظيمة والزمر والطبل معه والاعلام » . ويقول المقريـزي (لدى سيلفستر دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ص 43) : « كانت جنازية عظيمة » .

وازرق وهي ضيقة الاكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم (39) . وبعد ذلك (ص 351) يعلمنا نفس المؤلف ان السلطان المنصور قلاوون ابطل لبس الكم الضيق : (ابطلوا لبس الكم الضيق) وان ابنة الملك الاشرف خليل اعطى لخاصكيته Khâssékis ولمماليكه « الاقبية الاطلس المعدني » (40) Des kabâs de satin madini .

وكانت الاقبية تعمل بصورة عامة من الاطلس كما يظهر . فنحن نقرأ فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 م — ص 49) : « خلع عليه قباء اطلس وشربوش » . وبعد ذلك : « قباء اطلس اسود » . وفى موضع آخر (مخ 2 ن — ص 26 — حوادث عام 681) : « وقف بين يدي السلطان الف مملوك وخمس مائة مملوك عليهم الاقبية الاطلس الاحمر بالطرز والكلوتات الزركش » . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 2 — ص 159) : « وعلى ذلك قباء من الاطلس الاحمر » .

وكان القباء كذلك مفري فى بعض الاحيان (المقريزي — وصف مصر — ج 2 — مخ 372 — ص 358 (41) . فنحن نقرأ فى تاريخ مصر لابن اياس

---

39) ان مخطوطة (ب) ترسم الكلمة مشهرة ، وكلمة مشهر لا وجود لها فى القاموس ، ولكنني اعتقد انها تشير الى الجزء الخارجي من الثوب .

40) راجع حول كلمة معدني (ص 83 ، موضوع :البغلطاق) .

41) كلمة (طرز) موجودة فى تاريخ ابي الفداء (ج 5 ، ص 80) وفى نص لابن خلدون منشور من قبل سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية ، ج 2 ، ص 118) . ولا وجود لها فى التاموس . وقد بدل فيرس كلمة طرز فى هذه النصوص الى كلمة طرر ، فى احدى ملاحظاته على تاريخ اليمن لمؤلفه Rutgers (ص 135) وعلى الرغم من وجود كلمة طرز فى قاموس Richardson بمعنى حاشية او حواشي مطرزة فى ثوب من الاثواب ، فلا ينبغي معارضة شهادة قاموس براي عالم ، مهما كان شهيرا ، ولكن بنصوص عديدة لمؤلفين كثيرين . وهاهم . وانني اقرأ فى تاريخ مصر لابن اياس (مخ ، ص 129) : « حبة سوداء بطرز ذهب » . وبعد ذلك (ص 242) : ذهب » . وبعد ذلك (ص 242) : « جبة سوداء بطرز زركش » . وفى تاريخ الطولونيين للنويري (مخ 2 ك (2) ص 11) : « اسقط احمد دعوة الموفق وتلع اسمه من الطرز . فلما بلغ الموفق ذلك امر بلعن احمد بن طولون فى المنابر فى سائر الامصار » . وفى مخطوطة بخط المؤلف النويري (تاريخ مصر ، مخ 19 ب ، ص 25) : « خلع الاطلس المعدني بطرز الزركش » . وفى موضع آخر : « فخلع على المشار اليه منهم اطلس معدنيا بطرز زركش » . واخيرا (ص 135) : « تشريف اطلس معدني بطرز زركش » . وفى كل نصوص هذه المخطوطات ترد كلمة طرز وليس كلمة طرر . وتعني كلمة طرز ايضا : « اقمشة زركش) فانني اقرأ فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 9) : « احضر الصندوق الى الديوان السلطاني وفتح واعتبر ما فيه من الذهب — حوائص ذهب وطرز زركش » . وفى موضع آخر (مخ 2 ، ص 110) : « ركبوا بالكلاوات الزركش والطرز الزركش » وفى تاريخ مصر لابن اياس (مخ ، ص 100) : « ووجد له عند شخص اسكاف بقج فيها طرز زركش وحوائص ذهب وكنابيش ما يعلم لها عدة » وتوجد كلمة طروزات فى نفس المفهوم لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 107) : « فرجية قدسي وتحتها من ثياب مصر وطروزاتها الحسان » . (وكلمة قدسي التي لا اعرف اصلهاومعناها موجودة فى ثلاثة نصوص اخرى لابن بطوطة، بوصفها تشير الى نوع قماش . فنحن نقرأ لدى هذا المؤلف (مخ ، ص 129) : « ثيابا من الملف والمرعز والقدسي والكمخا » . وفى موضع آخر (ص 130) : « ثوب قدسي » . واخيرا (ص 159): «وكان عليه فى ذلك الحين قباء قدسي اخضر . وعلى راسه شناشية مثله» . وكلمة طرازات لها نفس المعنى . فانني اقرأ لدى المقريزي (وصف مصر، ج 2 ، مخ 372 ، ص 351) : « كلفتات الزركش والطرازات الزركش والكنابيش الزركش » .

وسانشر بهذا الصدد نص المقريزي هذا بتمامه ، لانه من الاهمية فى الذروة معرفة مختلف انواع الفراء المستعملة فى مصر ، ايام حكم الدولة الجركسية : « ثم سكن فيه صناع الفراء وتجاره فعرف بهم وصار بهذا السوق فى ايام الملك الظاهر برقوق من انواع الفرو ما يجل اثمانها وتتضاعف قيمها لكثرة استعمال رجال الدولة من الامراء والمماليك لبس السمور والوشق والقاقم والسنجاب

(مخ 367 — ص 88) : « قباء حرير بنفسجي يفري بقاقم مطرز بطرز ذهب يلبغاوي عريض (نسبة للسلطان يلبوغا » (42) . وما كان هو قباء سلاري كان البغلطاق (راجع هذه الكلمة)

ويظهر ان القباء تلقى تسمية الاسلامي — لاننا نقرأ فى تاريخ مصر للنويري (مخ 19 ب — ص 135) : « ركب — فى الموكب بالاقبية الاسلامية والكلوتة والشاش على عادة العساكر المصرية » . ويذكر مؤلف مسالك الابصار والمقريزي كذلك (راجع : « ملاحظات ومقتبسات — ج 8 — ص 213 — 295) الاقبية الاسلامية — ويعني هذان المؤلفان ولا ريب الاقبية المفصلة على الطريقة العربية — تمييزا لها عن التتاريات Tatars (انظر المرجع السابق) — وعن السلاريات :

وغير ذلك .

وتسمى احيانا بالاقبية معاطف الفرسان النصارى وذلك من قبل المؤلفين العرب . فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 388): « واذا بالفارس المقدم عليهم لابس قباء ازرق من اطلس — ومن فوقه رزدية ضيقة العيون » . ويقول المقري ، او بالاحرى ابن سعيد لدى فريتاغ (طرائف عربية ، ص 147) ان اقبية عرب الاندلس كانت معمولة من الارجوان (الاسقلاط) وكانت تشبه اقبية المسيحيين . واذا لم نكن قد صورنا القباء العربي الا تصويرا يعتوره النقص ، فاننا على العكس من ذلك نعرف معرفة عجيبة صورة قباء الفرس . واليكم وصفه على لسان شاردان (الاسفار ، ص 67 ، 68) : ثوب يسمى Cabai ، واسع بشبه فستان المراة،

بعد ما كان ذلك فى الدولة التركية من اعز الاشياء التي لا يستطيع احد لبسها . وقد اخبرني الطوشي الفقيه الكاتب الحاسب الصوفي زين الدين مقبل الرومي الجنس المعروف بالشامي عتيق السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد قلاوون انه وجد فى تركة بعض امراء السلطان حسن قباء بفرو قاقم فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه وصار يحكي ذلك مدة لعزة هذا الصنف واحترامه لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه . ثم تبدلت الاصناف المذكورة حتى صار يلبس السمور آحاد الاجناد وآحاد الكتاب وكثير من العوام . ولا تكاد امراة من بياض الناس تخلو من لبس السمور ونحوه والى الآن عند الناس من هذا الصنف وغيره من الفرو شيء كثير » .

42) لا وجود لكلمة سمور فى القاموس العربي . ويفسر دي برين (الرحلات ، ص 132 ، الخ) كلمة سمور Samour بكلمة Zebline (Sabel) ويذهب المذهب نفسه تيفنو (قصة رحلة الى المشرق ، ص 56) : « وفى الشتاء يبطنون فراجيهم بالفرو الثمين ، واصحاب الاقتدار ينفقون عن ارادة وطواعية اربعمائة او خمسمائة قرش للحصول على بطانة سمور » . والكتاب العرب يرسمون هذه الكلمة طورا بـ (سمور) وتارة بـ (صمور) . فنحن نقرأ فى رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 145) : « والسمور دون ذلك تساوي الفروة منه اربعمائة دينار فما دونها. ومن خاصة هذه الجلود انها لا يدخلها القمل .وامراء الصين وكبراؤها يجعلون منه الجلد الواحد متصلا بفرواتهم عند العنق وكذلك تجار فارس والعراقيين » . وبعد ذلك (مخ ، ص 147) : « واجتمع لي من الخيل والثياب وفروات السنجاب والسمور جملة » . وفى موضع آخر (مخ ، ص 156) : « بعثت الي بفروة سمور » . وبعد ذلك (ص 160) : « اعطاني السلطان فروة سمور تساوي مائة دينار وطلبتها منه لاجل البرد » .

ونجد فى نفح الطيب للمقري (مخ دي غوتا ، ص 77) : « مائة جلد سمور » . (كذا) . (انظر كذلك المرجع السالف ، ص 40) . والكلمة مرسومة بـ (صمور) فى تاريخ ابن اياس (مخ 367 ، ص 35 ، 48 ، 123 ، الخ) .

وكلمة وشق لا وجود لها فى القاموس ايضا . وبتسميتي لها : Loup-cervier تابعت راى منينسكي Meninski وهي كثيرة الوقوع فى كتاب ابن اياس .

وتشير كلمة قاقم بكل تاكيد الى ما يسمى L'hermine ذلك لاننا نقرأ فى رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 145) : « والقاقم هو احسن انواع الفراء وتساوي الفروة منه ببلاد الهند الف دينار وصرفها ذنبها مائتان وخمسون وهي شديدة البياض من جلد حيوان صغير فى طول الشبر وذنبها طويل يتركونه فى الفروة على حاله .

هذا هو الوصف للحيوان الذي تسمية Hermine هو غاية فى الدقة .

ولكنه شديد الضيق من الاعلى ، يمر مرتين فوق البطن ، ويشد تحت الذراع : الشدة الاولى تحت الذراع اليسرى ، والشدة الثانية وهي شدة الفوق ، تحت الذراع اليمنى . وهذا الثوب مقور على الهيئة التي يراها عليه في الشكل الجانبي . وله كمان قصيران ولكن لما كان اطول مما ينبغي ، فانهما يثنيان الى اعلى الذراعين ويزرران حول المعصم . ويلبس الفرسان كذلك اقبية على النمط الجيورجي ، وهي لا تختلف عن الاقبية الاخرى الا بكونها مفتوحة من جهة البطن ولها ازرار وقياطين . وبالرغم من ان هذا الثوب ضيق حول الوسط ، فانه يربط في هذا الموضع بحزامين او ثلاثة احزمة فوقية ، مطوية طيتين ، عرضها اربع اصابع ، فاخرة نظيفة ، وهذه الحالة تجعل الثوب يبرز فوق البطن جيبا واسعا قويا ، حيث تصر الاشياء الثمينة فتكون في حرز حريز من جيوب اعالي سراويلاتنا . والوصف التالي ، الذي يقدمه تيفنو في (ذيل رحلة الى المشرق ، ص 173) مفصل تفصيلا اوفى : « انهم يلبسون فوق ملابسهم سترة يسمونها قباء Caba معمولة هاده من تيل القطن الناعم للغاية ، الملون باللون الاحمر والاصفر والاخضر او بلون آخر على هوى اللابس ، وهو ناعم الملمس حتى ليكاد يشبه الاطلس . وهذه الستـرة القطنية المزركشة تهبط حتى منتصف الساق . وهي مقورة كل التقوير من الامام ، وينساب الجانب الايمن على البطن تماما ، ويجري ليستقر تحت الابط بمعونة شرائط ، ويمتد الجانب الايسر فوقا حتى يتصل بالجانب الايمن بقياطين ، وينفرد قبطان واحد بعدم الارتباط بشيء البتة ، ولكنه يتعلق بالقياطين الاخرى. وهكذا تدع هذه الاشرطة البطن مستورا مضغوطا للغاية ، لان هذا اللباس يمس الجسم مباشرة حتى الوسط الذي هو غاية في الضيق ، ومن موضع الوسط يأخذ في الاتساع بحيث يبدو وكأنه ناقوس من الاسفل ، ويستدير كما لو كان هناك دائرة من حديد ، وهذا بفعل القطن المحصور فيه . وكما هذا الثوب عرضهما عرض الذراع تماما ، ولكنهما اطول من الذراع كثيرا ، ولذلك يطويان لئلا يفلت المعصم من هذا الطوق . وبعضهم يلبسون هذه الاقبية مقفلة بدون ازرار حول المعصم ، ولكن الذين ينشدون الراحة يضعون فيها ازرارا ، والكثيرون من الفرس والارمن يفضلون هذه السهولة التي تعلموها من الفرنج ، وهذه الحالة تقفل الكم تماما في موقع المعصم ، وتحول دون دخول الهواء . وتكون هذه الاقبية في العادة معمولة من التيل الملون بلون واحد فقط ، وفي حالات كثيرة يتخذها اصحاب المقامات العالية من الاطلس او الزربافتة Zerbart ، وهي زركش فارسي ، وبعضهم يختارها في الصيف من الاليجة Aledgia وليس من القطن » . ويقول تيفنو بعد ذلك (نفس المرجع ، ص 175) : « يجب ان يكون معك دائما خادم لعقد قياطين القباء : لذلك فان معظمهم لا يعقدون الا شريطا واحدا ويرسلون بقية الشرائط على رسلها . ولاجل ان تبقى الاقبية نظيفة على الدوام ، فانهم يتجردون منها حال استقرارهم في منازلهم ويبدلون كل يوم قباء ، وكل عشرة اشهر يرتدون مجددا احد هذه الاقبية التي سبق لهم ارتداؤها اذا ظنوه نظيفا ، لانهم لا يتذكرون رؤيتهم له . ويثمنون الانسان بنظافته وجمال ثيابه » . راجع ايضا تافرنييه (الاسفار ، ج 1 ، ص 629) الذي يكتب كلمة القباء هكذا : Cabaye . وانظر فريزر ، (رحلة الى خراسان ، ص 69) . وهو يرسم كلمة القباء هذا الرسم : Kabba .

ومن الاسم المفرد (قباي) الفارسية الف الهولنديون كلمتهم : Kabaai ، تلك الكلمة التي يستعملونها للاشارة الى رداء البيت : Robe de chambre .

القرطق

يقول القاموس (ط كلكتا ، ص 330 ج : « لبس معروف معرب كرته». وعلى ذلك فان كلمة كرته او كرتة تشير في اللغة الفارسية ، طبقا لمذهب قاموس ريجاردسون Richardson الى « سترة قصيرة او قميص ، وهذه السترة تسبل على الكتفين وتنساب حتى وسط الجسم » . ويبدو ان الكلمة الفارسية كرتي لها نفس المعنى ، وان مصغر الكلمة كرتك يشير الى « قميص قصير يلي الجسم مباشرة ، وله كمان يصلان الى المرفقين » . وطالما تغنى الشعراء العرب بقراطق حبائبهم ومحظياتهم وجواريهم ، راجع مثلا بيتا اورده ابن خلكان ، ج 1 ، ص 364 . وعلاوة على ذلك فاننا نعلم ان الفرس كانوا يلفظون قديما الهاء النهائية بقوة اشد من لفظهم لها في ايامنا هذه ، وان العرب يقابلون هذا الحرف او هذا الصوت بقافهم .

القرق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تشير لدى عرب الاندلس الى صندل قاعدته الداخلية من الفلين ، وكلمة قرق تقابل كلمة

alcorque الاسبانية . وان صل هذه الكلمة غامض لدي ، والكلمات التي تستعمل فى العربية لتعيين كلمة liège — فلين ، والتي ستقراونها ، لا وجود لها فى القاموس . ويقول كوبروفياس Cobarruvias فى كتابه (كنز مدريد ، ص 1611 (Tesoro, Madrid حول كلمة الكورنوك alcornoque (alcornoque, cortiche, cortich, Alcala) :

ويطلق عليها اللاتين اسم suber وهي نوع من الاشجار الفلينية تشبه شجرة السنديان بمتانة عودها وصلابة خشبها وتشبه أيضا بثمارها واوراقها شجرة البلوط القرمزية الدائمة الخضرة ، وتختلف عنها بقلة اغصانها وبكثافة قشرتها ، التي غالبا ما تنسلخ عنها لتعاود الطبيعة اكساءها مجددا .

وكلمة aldorques كلمة عربية الاصل ، كانت تستعمل غالبا لوصف شخص بالعري أو بسوء الهندام . نسبة الى ما أشرنا اليه حول انسلاخ قشرة الشجرة ، ليصنع من هذه القشرة نوع من النعال للنسوة الصغيرات ، وهو الموضوع الذي كتب عنه الدكتور لاكونا Laguna اشياء جميلة كثيرة ، فى تعليقاته على Diosc. lib. I, cap. 121 ومن كلمة dorque جاءت كلمة corque

ومنها اشتقت الكلمة corcho « الفلين » فى (نعال خشب الفلين المصنوع من شجرة الفلين) .

ودخلت اداة التعريف العربية (الـ) على كلمة corque لكي تصبح alcorque ، وهي ، كما سبق ان قلنا ، نوع من مداس للقدمين صنع نعله من خشب الفلين » . (ترجمة لويس رومانوس) .

المقرونـــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي تشير ، حسب مذهب بركهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين ، ص 28) الى نفس المادة التي تشير اليها كلمة شوبر ، اي الى الطرحة التي تضعها النساء البدويات على الرأس . وتختارها الكواعب النواهد حمراء ، وتصطفيها العجائز الفواني سوداء .

القشـــاب

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويترجم دونباي (ص 82)

هذه الكلمة بـ : Indusium sine manicis

ولعلها نفس الكلمة التي يكتبها هوست فى كتابه (اخبار من مراكش ، ص 115) — على هذه الصورة : Keséb (كزب) ، ويقول المؤلف ان هذا الكزب هو قميص من الصوف بلا كمين ، ويلبس بدلا من القفطان . انظر اللوحة 16 من الكتاب المذكور . ويتحدث لمبرير Lempriere فى كتابه (رحلة الى مراكش ، ص 39) عن الكاشوف Le cashove الذي يرتديه الرجال والنساء من البدو فى مراكش . ويقول هذا الرحالة عن هذا الكاشوف القشاب : « انه ثوب طويل غليظ محروم من الصباغ يشد حول الوسط . وتلبسه النساء بشكل يؤلفن منه كيسا فوق الظهر ، يحملن فيه اولادهن » . ولعل هذه الكلمة ليست عربية الاصل ، وسأحملكم على ملاحظة ان كلمة Kusabo تعني لدى المندنكو Les Mandingos

— أهل مالي — كساء أو معطفا .

راجع (قواعد لغة المندنكو ، ص 41 (Macbrair, Grammer of the Mandingo language

القفـــاص

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويترجم بيدرون دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) كلمة Guante بكلمة قفاص ، والجمع قفافيص ، ويترجم كلمات Calçado cosa de guantes بكلمتي : ملابس القفاص ، و Guante بكلمة قفاص. ويفسر كانيس Cañes كذلك فى قاموسه ، ج 2 ، ص 204 (Diccionario) كلمة Guantes بكلمة قفز (كذا) . وقد جعلتنا الكلمة العربية نفسها نفكر فى انها قفاز على هيئة شبكة ، قفاز مشبك . ذلك لان كلمة قفص ، وهي الكلمة الموجودة فى القاموس بمعنى Reticularis و Cavea avis تعني ، على سبيل

---

43) قال دوزي فى كتابه (المستدرك على المعاجم العربية ، ج 2 ، ص 348) ما يلي : « لقد ظننت سابقا ان هذه الكلمة هي من لغة الماليين Les Mandingos ، وكنت متوهما ، ذلك لان Macbrair يقول (3 — 297) ان هذا اللباس يحمل لدى هذا الشعب اسم دوريكي .

المثال ، سلة معمولة من اغصان النخلة (خـــوص السعف) المبروم برما شديدا (بركهارت ، الامثـال العربية ، ر 310 ، لين ، الف ليلة وليلة ، ج 21 ص 210 ، النويري ، تاريخ مصر ، مخ 2 ص 33) وكلمة قفاز ، ولعلها نفس الكلمة ، تعني مزاعـــة Epouvantail معمولة من قطع الخشـــب الخفيفـــة (بركهارت ، ر 154) . والواقع ان بيدرو دي الكالا يفسر كلمتي مونابلا ارمادورا بكلمة قفاص ، وجمعها قفافيص . وتعني كلمة مانوبلا Manopla ، كمـا نعلم ، قفازا حديديا ، أو جلديا .

القلصـــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي الكلمة الاسبانية كالزاس — التي تسللت الى لغة عرب الاندلس — ذلك لان بيدرو دي الكـالا (مفردات اسبانية عربية) يفسر كلمة كالســـاس Calças بكلمة قلصة — وجمعها قلصات — ويفسر كلمات : Calçada cosa de calças بكلمتي ملابس القلصات . ونحن نعلم ان كالـــزا calza تعنـــي ســـروالا — بنـطلـــونـــا : Chausses, pantalon . وكلمة قلصات لها فى مالطة نفس المعنى . (راجع فاسيلـي فى كتابـــه تويميس مالطي — مج 1 — ص 40) .

القلنسوة — القلنسية

يقول لين (الف ليلة وليلة — ج 1 ص 323) الطبعة الانكليزية) هذه الحاجة موصوفة بصـــورة غامضة من قبل المعجميين العـــرب — بحيث انـنـي لا استطيع الحصول على فكرة دقيقة محـــددة عـــن شكلها » .

هذه الكلمات من اعظم عارف باخلاق وعادات العرب — يجب دون ريب ان تسقط القلم من يدي — والا تمس من ذلك ان هذه الكلمة — حسب علمي — لم يذكرها اي رحالة اوروبي قدر له ان يزور الشرق فى اية حقبة من الحقب — بالاضافة الى ان تنقيباتي الخاصة لدى المؤلفين العرب عادت تجر اذيال الفشل. ومع ذلك فيخيل الي بالرغم من انني لا اعـرض كل ما اعرض بوصفه واقعة ليس الى نكرانها من سبيل — ان هذه الكلمة تشير الى الطاقية التي توضع تحت العمامة (شقة البز) — وهي مرادفة لكلمة طربوش — الطربوش المستعمل فى هذه الآونة . واليكم صورة كيفية وصولي الى هذه النتيجة .

قبل كل شيء — ساحملكم على ملاحظة عـدم وجود كلمة اخرى فى اللغة العربية — حسب علمي — بمقدورها ان تعين الكلوتة (الطاقية — العرقية) التى تحاط بشقة من البز لتاليف او تكوير العمامة التامة على هذا المنوال . وعلى ذلك فهناك اسانيد كثيـرة تثبت ان العرب القدامى لم يكونوا يضعون الكلوتـة تحت العمامة . وفضلا عن ذلك — فان الرحالة المغربي ابن بطوطة (الرحلة x مخ دي كايانكوس — ص 152) يقول فى وصفه لعاصمة الامبراطورية البيزنطيـة : « ودخلت مع الرومي الذى عينه الملك للركوب معـي الى مانستار يشقه نهر وفيـه كنيســة فيـها نحـو خمسمائة بكر عليهن المسوح ورؤوسهن محلوقة عليها قلانس اللبد ولهن جمال فائق وعليهن اثر العبادة » . وبعد ذلك (نفس المرجع) — يقول ابن بطوطـة فى الباب المعنون ذكر الملك المترهب جرجيس (الملـك (امبراطور) جورج المترهب) : « فاذا بهذا الملك ماشيا على قدميه وعليه المسوح وعلى راسه قلنسوة لبد ».

وارى من المحتمل كل الاحتمـال ان الرهبـان والراهبات فى القسطنطينية كانوا يلبسون القلانس. ويقول الرحالة المذكـور ايضـا فى مـادة قبشـاق Le Kiptchak حيث النساء ملكات (ورقة 141) : « وربما كان مع المراة منهن زوجها فيظن من يراه بعض خدامها ولا يكون عليه من الثياب الا فروة من جلود الغنم وفى راسه قلنسوة تناسب ذلك يسمونها « الكلا ». ويترجم الزمخشري : « مقدمة الادب » « Zamakhschari (Lexicon Arab. Pers., part. I, pag. 62) »

« قلنسوة بكلمة (كـلاه) » .

ونجد فى موضع آخر لدى ابن بطوطـة (مخ. ص 83) : « نزع شاشيته عن راسه وهم يسـمونها الكلا » . وكلمة (كلا) الفارسية الموجودة فى هذه النصوص تشير الى الكلوتة Calotte او الطاقية او العرقيـة

القلنـــسوة (44)

(راجع تعليقة لانكيس Langlès على رحلات شاردان : Voyages de Chardin وكلمة شاشيـة لها نفس المعنى .

(44) جاء فى متن اللغـة : القلنسوة والقلنسية والقلسوة والقلسية والقلساة . والقلنسانة من ملابس الراس . جمعها : قلانس . وقلانيس وقلنسى وقلنس وقلاسي وقلاس . تصغيرها : قليسية .

واخيرا فان المؤلفين العرب طالما ذكروا ان الاولياء او الرهبان في الشرق يلبسون القلنسوة . وعلى ذلك فان عمرة هؤلاء الناس تنحصر غالبا في طاقية بسيطة او كلوتة « Bonnet ou culotte »

يقول ابن بطوطة (الرحلة ـ مخ. ص 112) في معرض حديثه عن قديس او ولي جبل (لمعان) : « وعليه مرقعة وقلنسوة لبد » . ويخبرنا النويري (تاريخ مصر ـ مخ. 2) ـ في حوادث سنة 610 ـ عن موت ولي من اولياء الله الصالحين ـ فيقول : (ص 22) : « وكان لا يلبس غير الثوب الخام وقلنسوة من جلد الماعز » .

وهذه الادلة التي عرضتها الآن يمكن ان نضيف اليها ان المسلمين يلبسون غالبا طاقيتين او كلوتتين (طاقية وطربوشا الخ) ـ وان ابن بطوطة (مخ. ص 120 ـ 121) يقول ـ متحدثا عن الفتيان الاخية (راجع (لي ـ رحلة ابن بطوطة ـ ص 68 ـ 69) : « وعلى راسهم قلانس بيض من الصوف باعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض اصبعين . فاذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد قلنسوة ووضعها بين يديه وتبقى على راسه قلنسوة اخرى من الزردخاني وسواه حسنة المنظر (45) .

---

(45) هذا ما تأخذه كلمة قطعة من معنى في معظم الاحوال . (راجع النويري ـ تاريخ مصر ـ مخ. 19 ب ـ ص 24 ، والف ليلة وليلة ـ ط مكناكتن ـ ج 2 ص 46) . وكلمتا تقطيع وجمعها تقاطيع ومقتطع لهما نفس المعنى . ونقرا في تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ـ ص 204) خمس تقاطيع سكندرى (خمس قطع اقمشة اسكندرانية) . وفي الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ـ ج 1 ـ ص 111): جاء بمقطع حرير ، جاء بشقة حرير .

وكلمة زردخاني موجودة كذلك في نصوص اخرى لابن بطوطة ـ تحت رسم زردخانة . فهو يقول (مخ 219) ـ في معرض كلامه عن بعيرين : وجعلت لهما جاتين من زردخانة مبطن بالكمخا . (وكلمة جلة تعني بردعة ـ اذ يقول ابن بطوطة في موضع آخر (مخ. ص 149) : وفرسها مجلل بجلل حرير مزركش بالذهب) . راجع كذلك نص رحلة في السودان لهذا المؤلف ـ مترجم في الصحيفة الآسيوية ـ س 4 ـ ج 1 ـ ص 208 .

واعتقد انني واجد هذه الكلمة العربية في اللغة الاسبانية ـ برسم Zarzahan . والواقع ان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) يترجم كلمة Zarzahan بكلمة زردخان .
وبمعونة الكلمة الاسبانية ايضا نستطيع تفسير الكلمة العربية . ويرى كوبا روفياش حول كلمة çarçahan في كتابه (كنز اللغة القشتالية ، مدريد 1610) ان كلمة Zarzahan او كلمة Zarzalian تعني نوعا من الحرير الفاخر ـ من صناعة المغاربة وهو شبيه بالتفتة (الحرير الرقيق) .
وما دامت قد اتيحت لي فرصة التحدث عن اسم قماش مفسر باللغة الاسبانية ـ فسأقول كذلك بعض الكلمات عن كلمة عربية اخرى ليست مفسرة لنا باللغة الاسبانية فحسب ـ وانما هي مشتقة من هذه اللغة ـ وكانت قد ترجمت ترجمة سيئة .

هذه الكلمة هي كلمة تليس التي اعالجها . فنحن نقرا لدى ابن بطوطة (مخ. ص 282) : يصلحون اسقيتهم ويملأونها بماء ويخيطون عليها التلاليس خوف الريح . وهناك نصوص اخرى لابن بطوطة تبرهن ان ترجمة اصيلة لهذا النص سليمة لا غبار عليها . وهكذا يقول في موضع آخر (مختصر. ص 95) : « طرحت هنالك اياما مستورة العورة بقطعة تليس » . ويضيف ابن بطوطة (مخ ص 80) العزاء والحداد بمناسبة وفاة ابن ملك ايذج : Idhadj فيقول : « فوجدت مشور دار السلطان ممتلئا رجالا وصبيانا من المماليك وابناء الملوك والوزراء والاجناد وقد لبسوا التلاليس وجلال الدواب وقد جعلوا فوق رؤوسهم التراب والتبن » .
ونستخلص من هذا النص ان كلمة تليس لابد انها تشير الى نوع من الاقمشة . والواقع ان دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي) يترجم كلمة تليس بـ Taoes variegatus والكلمة العربية ليست سوى تحريف للكلمة الاسبانية terliz وهي بالفرنسية treillis وترجمتها الحرفية : نسيج

ويسمح للقلنسوة ان تميل احيانا الى جهة من الجهات ـ او الى الوراء ـ كما هي حالة الطربوش المستعمل حاليا في سورية والمغرب. ونقرا في كتاب ملتقى الابحر (مخ 1211 ـ ص 164) : « ويحل للنساء لبس الحرير ولا يحل للرجال الا قدر اربعة اصابع كالعلم . ويلاحظ على ذلك شارح مجمع الانهر (ط القسطنطينية ـ ج 2 ـ ص 258) هذه الملاحظة : « وكذلك اذا كان في طرف القلنسوة لا بأس به اذا كان قدر اربعة اصابع » . وبعد ذلك (ص 259) « وفي القنية تكره التكة المعملة من الابريسم وهو الصحيح وكذلك القلنسوة وان كانت تحت العمامة». ومن كلمتي طرف القلنسوة في الفقرة الاولى ينبغي ان نفهم ـ ان لم اكن متوهما ـ الطرف المرفرف من هذه الطاقية . ومن الكلمات الاخيرة في الفقرة الثانية التي تعني في مذهبي وان كانت القلنسوة مغطاة تماما بالعمامة ومحجوبة بها ـ يبدو انها تؤيد رايي في ان كلمة قلنسوة لا تدل على شيء آخر غير الطاقية او الكلوتة او العرقية (القلنسوة) التي توضع تحت العمامة .

وكانت القلنسوة شائعة الاستعمال في الاندلس ـ على الاقل ايام دولة بني امية ـ ذلك لانني اقرا في تاريخ الاندلس للنويري (مخ 2 ص 478) : واشار الحاجب بانتزاع قلنسوة شالشول عن راسه فانتزعت » . ولم اجد هذه الكلمة في مفردات بيدرو دي الكالا . وما يسميه الاقباط اليوم قلاسوة او قلوسية ـ لا يمت مطلقا الى عمارة الراس بنسب ولكنها عصابة عرضها اربع عقد وطولها قدم ـ وهم يرسلونها تحت العمامة ـ وتتدلى على الظهر . (راجع لين ـ المصريون المحدثون ـ ج 2 ص 354) .

القميص

يلبس الشرقيون القميص فوق السروال ـ وليس تحت السروال ـ كما هي عادة الاوروبيين . وقميص الرجال في مصر معمول من التيل البندقي (البندقي ـ الف ليلة وليلة ـ 7 هابشت ـ ج 2 ـ ص 62) ـ او من الكتان ـ او من القطن ـ او من الشاش الموصلي ـ اومن الحرير ـ او من الحرير والقطن المخططين ـ ولكن هذه القمصان جميعا بيضاء لا تشوبها الوان اخرى (لين ـ المصريون المحدثون ـ ج 1 ـ ص 39) . اما قمصان النساء فمشغولة من الحرير (الف ليلة وليلة ـ ط مكناكتن ـ ج 1 ـ ص 874 ـ رحلات فنسان لبلان المشهورة ـ ج 2 ـ ص 139) :

« Les Voyages fameux du Sieur Vincent Le Blanc »

ومن القطن الرفيع الخيوط للغاية (منتكازا ـ قصة رحلة من اورشليم ـ ص 90

« Mantegaza, Relatione del Viaggo di Gierusalemme »

ومن الكتان ـ ومن الشاش الموصلي ـ ومن الحرير والقطن ـ واخيرا من الكريشة الملونة واحيانا السوداء (لين ج 1 ـ ص 56) . « اما قمصان الاغنياء فهي مزركشة الحواشي والفتحات عادة ومطرزة بالحرير تطريزا يدويا بالابرة » كما يقول كوبان Coppin في كتابه (درع اوروبا ـ ج 1 ـ ص 200)

ونحن نقرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ـ ج 1 ـ ص 600) : « قلعت اثوابها واتت في قميص رفيع مطرز بطرز من الذهب » . وفي

الخيوط . وقد فرغنا من رؤية ان الكلمة العربية تليس تعني بساطا غليظا مختلف الالوان . واجد الكلمة الاسبانية terliz مستعملة بنفس المعنى في الابيات التالية المنسوبة الى فيليب الرابع :

هل رايت في نفس المكان ... حيث كان اللتيس مطرزا
كالندى باشعة الشمس . ... اضاعة الريف لونه الاخضر ؟

وفضلا عن ذلك فانني اذ اشتق كلمة تليس من كلمة terliz لا اخمن تخمينا اعرضه ـ وانما هي واقعة محسوسة : ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) يترجم كلمات : Terliç texido a tres lizos بكلمة تليس وجمعها تلاليس .
وفي مصر الحالية يطلق اسم تليس على كيس اسود ـ او مرقط برقطات بيضاء وسوداء ـ وهو معمول من شعر الماعز الذي يستعمله القرويون لحمل قمحهم. الى السوق (راجع بركهارت ـ الامثال العربية ـ ص 68 ـ 97) ـ ومن هناك يطلق على مكيال حنطة .

موضع آخر (ج 1 – ص 828) : « وعليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات وراس الكمين مكتوب عليه هذه الابيات ». (لم يذكر المؤلف الابيات – المترجم) . والفقهاء يحللون للرجال ان تكون عرى وازرار قمصانهم من الحرير (مجمع الانهر – ط القسطنطينية – ج 1 – ص 259) .

اما عن هيئة القميص – فله كمان واسعان للغاية – يهبطان الى المعصم – ويتدلى القميص الى منتصف الساقين (كوبان ولين – راجع كتابيهما القيمين) .

ويقول داندیني (رحلة من جبل لبنان – ص 45 : Voyage du mont Liban) في وصف ازياء سكان طراباس الشرق : « ان قمصانهم وكذلك ستراتهم – لا ياقة لها – وهي معمولة من القطن الابيض . وبعض القوم يلبسون قمصانا زرقاء ذات اكمام مفرطة في الاتساع – بحيث يرى الراؤون كل اذرعتهم عارية . ونهاية هذه القمصان غير مشقوقة مطلقا – وهي على الاقل تبدو مخيطة حتى النهاية بوصفها خارج السراويلات – ولهذا السبب يجعلونها واسعة فضفاضة » . ويقول دارفيو – مذكرات – ج 6 – ص 425 – 426 . D'Arvieux, Mémoires . في معرض حديثه عن نساء حلب : « انهن يرتدين سراويلات طويلة مثل الرجال – ويلبسن فوقها قميصا طويلا عريضا من الشاش الموصلي المخطط المرقط – او من نسيج آخر – لا يختلف في شيء عن نسيج اقمشة قمصان الرجال » . ويظهر من كتاب (بيترو دلافاله – رحلة من تركيا – ص 750 – راجع ج 1 من فارس – ص 161) :

« ان قمصان النساء في بغداد كانت في العادة من الحرير الملون – وكانت لهم اكمام مفرطة في السعة والطول ».

ويقول اوليفييه – رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس – ج 4 – ص 327) :
« Olivier (Voyage dans l'Empire Othoman, l'Egypte et la Perse) »

في معرض وصفه لازياء نساء هذه العاصمة : « ان القميص الذي هو فوق السراويلات – مصنوع من الشاش الموصلي المطرز بالحرير الملون بلون الذهب – وهو مفتوح من امام – مثل قميص الاوروبيين ».

ويقول شاردان (الرحلات – ج – ص 70) « Chardin, Voyages » في كلامه عن النساء الفارسيات : « ان القميص المسمى Camis الذي ربما جاءت كلمة Chemise منه – مفتوح من الامام حتى سرة (البطن) » .

ويخبرنا هوست – اخبار من مراكش وفاس – ص 114 – 115) :
« Höst, Nachrichten von Marcks und Fes »

ان قميص المغاربة لهكمان مفتوحان – وكل كم من هذين الكمين يبلغ طوله احيانا خمس اذرع – ويعلقان غالبا فوق الظهر – بحيث ان الذراعين تظلان حينئذ مكشوفتين . وحول العنق يكون هذا القميص دائما وابدا مطرزا بالحرير الاصفر . وقمصان التيل التي يرتديها المغاربة قد اتى على ذكرها (دييكو دي توريس – قصة الشرفاء – ص 85 :
. (Relation des Chérifs

ودييكو دي هيدو – خطط مدينة الجزائر – ص 27 – 28 – مج 2 ، ومارمول – وصف افريقيا – ج 2 – ص 102 – مج 2)

واذا لم اكن متوهما – فان كلمة قميص هي الاسم الوحيد للباس الذكور في القرآن الكريم . وهذا الملبوس كان يلبسه محمد (ص) (عيون الاثر – مخ 340 – ص 188) – وكان يصنع من القطن .

ويظهر ان الشرقيين كانوا يعلقون اهمية كبرى على الا تكون اكمام القمصان مفرطة في الفضفضة والاتساع – ذلك لان ابن اياس (تاريخ مصر – مخ 367 – ص 74 – 75) يخبرنا في حوادث عام 793 : « وفي شوال نادى الامير كمشبغا نائب غيبة (السلطان) .. ان لا امراة تلبس قميصا باكمام . وكانوا قد افحشوا في ذلك حتى خرجوا عن الحد ».

ويقص علينا السيوطي (حسن المحاضرة – مخ 113 ص 348) نفس الواقعة بالشكل التالي : « وفي سنة ثلاث وتسعين امر كمشبغا نائب الغيبة ان ... ومنع النساء من لبسان القمصان الواسعة الاكمام وشدد في ذلك » .

ويسمى La chemise de nuit (قميص الليل) – قميص النوم . راجع الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ج 1 – ص 192) والشك الموجود في الترجمة الانجليزية – بعناية لين (ج 1 – ص 301) .

ونحن نعلم ان كلمة قميص قد تسللت الى اللغات الرومانية (46) .

القمطـــــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويفسر الكونت دي شابرول هذه الكلمة فى كتابه (وصف مصر ، ج 18 ، ص 113) ، على هذا المنوال : « قطعة من البشاش الموصلي تلف عدة لفات حول طربوش (النساء المصريات) : وهي تتالف من جزئين . والجزء الفوقاني منهما احمر او من لون صارخ فاضح : وجماع العمارة يشكل حول الراس شبه وسيدة ناتئة تزين باللآلىء وتزكرش بالاحجار الكريمة .

القنـــاع ، المقنـــع المقنعـــة

تشير كلمات قناع ومقنع ومقنعة الى : نوع من القماش (شال) يضعه الجنسان على الراس . (مقارنة مع عصابة وكوفية) . ونجد فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ص 168) بابا معنونا « باب التقنع » ، حيث نقرا ما يلي : « وقال ابن عباس : خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عصبة دسماء » . وقال انس : « عصب النبي صلى الله عليه وسلم على راسه حاشية برد » .

وفى حكاية مروية فى الكتاب نفسه، عن عائشة، نقرا : فقال قائل لابي بكر : « هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا متقنعا فى ساعة لم يكن ياتينا فيها » .

وقد راينا آنفا ، فى نص من رحلة ابن جبير (حول كلمة خرقة) ان الاقنعة كانت تؤلف جزءا من ملابس البدو . ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 143) فى مادته عن بلغار الفولغا : وعلى راس الوزيرة والحاجبة مقنعة حرير مزركشة الحواشي والجوهر ملبسا بهما (47) . وفى موضع آخر (ص 156) : تعرضت لي بالباب امراة عليها ثياب دنسة وعلى راسها مقنعة . ونجد فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 820) : كان الغلام نائما (وكان على راسه مقنع مروزي ازرق . وفى موضع آخر (ج 3 ، ص 161) « البست افاقة عشاقها ملابس النساء . وقالت للعاشق الاول (القاضي) : يا سيدي اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على راسك حتى نحضر بالماكول والمشروب وبعد ذلك تقضي حاجتك » . فاخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع .

---

(46) يقول كتاب عيون الاثر : (قميصا صحاريا وآخر سحوليا) . وليس بمقدوري اقرار اي نوع من القماش كان يرد من مدينة صحار Zohâr ولكن كلمة سحولي تشير بالتاكيد الى قماش من القطن الابيض ـ ذلك لانني اقرا فى كتاب « مراصد الاطلاع » (مخ 295) : سحول بالضم وآخره لاسم قرية من اليمن يحمل منها ثياب قطن بيض تسمى السحولية » .

(47) ان كلمتي ملبسا بهما موجودتان كثيرا فيما يقفو ، بعد الكلمات : « وبيد كل واحدة منهن (الجواري) عمود ذهب او فضة او يكون من عود ملبسا بهما » ، حيث تمثل معنى مضادا ، وحيث لا علة تدعو لاستعمال هذه التثنية . وعلى هذا فلا يمكن وقوع هذه التثنية ، فى النص برمته ، الا اللهم فى الجملة التى تدور حول الوزيرة والحاجبة . ولعل هاتين الكلمتين قد عثر عليهما احد النساخ فى هامش النسخة التى كان ينسخها فادرجها خطأ فى موضع لا يلائمها . وفضلا عن ذلك، فانني اعتقد ان كلمتي « ملبسا بهما » قد اضافهما ابن بطوطة ليشعر القاريء بان المقنعة كانت تستعمل لباسا للراس وعمرة لهؤلاء النساء ، وليست خمارا . وفى نص آخر يقول بوضوح « ان نساء بلغار الفولغا لا يلبسن الخمار » . والكلمة التى تعني مزينا مزركشا، التى يجب ان تسبق (والجوهر) ، وكذلك المسمى الآخر ، قد حذفهما النساخ .

والفرق بين القناع والمقنع كائن ، حسب مذهب المعاجم ، في ان المقنع ليس له سعة القناع (48) .

وكلمة قناع (وربما كذلك كلمة مقنع وكلمة مقنعة) تشير كذلك الى : خمار وجه تستعمله النساء . ويصف لين (الف ليلة وليلة ، ج 1 ص 210) على هذه الشاكلة : « القناع قطعة من الشاش الموصلي له طول ذراع او اكثر ، وله اقل من ذلك للعرض ، ويوضع شطر منه فوق الراس ، تحت الازار ، ويتدلى سائره ، من الامام ، حتى الوسط ، وهو يعطي الوجه بتمامه . وطالما رايت نساء عربيات، ولاسيما نساء الوهابيين ، وهن واضعات اخمرة من هذا النوع ، وكانت تصنع من الشاش الموصلي الملون، وهي تخفي الملامح والقسمات جميعا، ولكنها مصنوعة صنعا مخاتلا لئلا تحول بين النساء وبين رؤيتهن مواقع اقدامهن في الطرقات . وكان القناع يصنع احيانا من الحرير (مقارنة مع الف ليلة وليلة ، ط مكناكتن ، ج 3 ض 177) ويزركش بالذهب . فنحن نقرا في الف ليلة وايلة (ط مكناكتن ، ج 3 ، ص 176) : قل له : « اعطني القناع الذى عندك مرسوما (49) بالذهب فان ما عنده في دكانه احسن منه فاشتره يا ولدي بأعلى ثمن » .

وينبغي اضافة جمع قناع اقنعة الى القاموس ، وهو موجود في نص ابن جبير ، الذى نشرته حول كلمة خرقة . ويقول (بيدرو دي الكالا ، مفردات اسبانية عربية) ايضا : (اقنعة ، قناع : « Toca de muger o tocado » .

ونجد لدى مؤلف فارسي (ميرخوند ، تاريخ السلاجقة) مقنعة ، مستعملة كجمع مقنع . ونقرا فيه :

« جهت دختران سراي مقنعه وامتعه كه مناسب ايشان بود خريده »

« وقد اشتريت لنساء السراي مقانع واشياء اخرى تناسبهن » .

وكانت كلمة قناع مستعملة ايضا في اسبانيا (مقارنة دوزي ، تاريخ بني عباد ، ج 1 ، ص 61 ، س 6) . ومن هنا الف الاسبان كلمتهم الكينال Alquinal .

القـــــوج

يبدو من نصي كتاب الف ليلة وليلة ، اللذين اوردهما فريتاك ، ان هذه الكلمة تشير الى شبه عمارة تلبسها النساء مع العصابة ، او العصبة . ويعتقد فليشر (كتابه ، ص 39) انها الكلمة الفارسية سرغوج ، المحذوف منها مقطع سرا ، 61 يقول هذا العالم الجليل : « حذف مقطع جذري من الكلمة . ومع ذلك فانني لا استطيع ان احل محلها كلمة اقرب اصلا منها . ويقول فليشر كذلك : « والمصريون الذين سألتهم قالوا انهم يجهلونها » . ويتحتم علي ان اعترف بأنني لم اجد كلمة قوج لدى اي مؤلف آخر . واذا كانت كلمة قوج تشير الى ما تشير اليه كلمة سراغوج ، وفي اللغة العربية سواقوج ، فهي عمارة امراة مسبلة من جهة على الجبين ، مغطية

(48) لعل هذا المقنع المذكور قد صنع من الملحم . راجع كلمة جبة . اما عن كلمة مروزي فبوسعنا استشارة ابن خلكان (وفيات الاعيان ، ج 1 ، ص 4) . ولم يدرك لين (الف ليلة وليلة ، ج 2 ، ص 222 ، الترجمة الانجليزية) معنى مقنع في هذه الفقرة .
ولو ترجمنا كلمة قناع في هذه الفقرة بكلمة Voile خمار ، لاخطأنا : 1 ــ لان المراة لا تلبس الخمار وهي في بيتها ، ولدى حضور احتفال، 2 ــ لان السياق يقضي في هذه الفقرة احلال قناع محل عمامة ، واخيرا 3 ــ لان العاشق الثالث (الوزير) قد دعي الى لبس غلالة زرقاء وطرطور احمر . وعلى ذلك ، وكما راينا سالفا ، تشير كلمة طرطور الى لباس راس بصورة يقينية جازمة .

(49) ان كلمة مرسوم تعني مزركشا . فنحن نقرا في رحلة ابن جبير (مخ 320 ، ص 46) : لابسا ثوب سواد مرسوما بذهب . وكلمة مرسوم تعني كذلك مزركشا بالذهب . فنحن واجدون في الكتاب المذكور (مخ ، ص 83) : خلعتان من الديبقي المرسوم البديع الصنعة) .

الشعر ، ومتدلية حتى الكتف اليسري » . (كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ص 236) (50).

الكبـــــوت

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي الكلمة الاسبانية Capote ، التى تسللت الى لهجة عرب الاندلس ولهجة المغاربة ، Des Maghrébins ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية وعربية) يفسر كلمة Capote بكلمة كبوت ، وجمعها كبابيت . ويفسر كانيس : Cañes (نحو ، ص 171) كذلك كلمة كبوت بهذه الكلمات : معطف بلا كمين Capote sin mangas .

ويقول دابر فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، مج 1 ، ص 241) ان كلمة كبوت Kabbout تشير الى نفس اللباس الذى تشير اليه كلمات Sant à Barra (راجع كلمة سنتبر) .

الكـــجـــة

يقول جان جاك شلتنس ، فى قاموس فريتاك : « Pila maior, quae fit ex complicato panniculo »

« انها كساء مصنوع من عدة خرق متنوعة »

ولم اصادف مطلقا هذه الكلمة ، ولم الاحظ اي تعليق عليها من قبل شلتنس على نسخة كوليوس التى استعان بها هذا العلامة ، والموجودة حاليا فى مكتبة ليدن (51) .

الكرزيـة وجمعـها الكـرازي ـ الكرسية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقول الرحالة العربي الاندلسي ابن جبير (الرحلة ، مخ 320 ، ص 48) ان امير مكة كان متعمما بكرزية صوف بيضاء رقيقة . ونحن نقرا فى الكتاب المعنون الحلل الموشية (مخ 24 ، ص 42) : قال : كنت ببغداد بمدرسة الشيخ الامام ابي حامد الغزالي فجاءه رجل كث اللحية على راسه كرسية فدخل المدرسة واقبل على الشيخ ابي حامد فسلم عليه فقال : « ممن الرجل ؟ فقال : « من اهل المغرب الاقصى » .

ويقول مارمول (وصف افريقيا ج 2 ، ص 3 ، مج 4 وص 4 ، مج 1) فى معرض حديثه عن بربر ولاية حيحا اقصى بلدان مراكش العربية : « انهم لا يضعون الطواقي ولا القبعات على الراس ، ولكنهم يشدون عصائب من الصوف يسمونها كرزية Cursias . وهي واسعة سعة جريدة النخل ، وطويلة ، فيلفون بها الراس خمس او ست لفات ، باعتبارها عمامة (Como tocas)واجمل هذه العمائم مزركش بالحواشي القطنية ، وهي مصبوغة بالحنة، ولها شرائط وقياطين مبرومة تتدلى على الجوانب بمثابة هدبات » .

ويقول دابر (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، مج 1 ، ص 240) فى معرض وصفه ازياء سفراء مراكش ، الذين وفدوا الى امستردام عام 1659) : « كان لباس راس احدهم ينحصر فى طاقية Een muts) تدعى فى اللغة العربية كرزية Kurzya وهي مصنوعة من قماش صوفي غليظ ، ولكنها لم تكن مكورة حول الراس بشكل انيق ، كما تكور العمامة عادة باناقة ، وهي الطراز السائد لدى المغاربة ، ومع ذلك فان بعض سكان هذا القطر يلبسونها معمولة من نسيج القطن الرفيع ومكورة حول الراس ، ويسمونها حينذاك Sied او Sjed (شد) .

---

(50) ان كلمة سراقوج ، التى يتحدث عنها كاترمير فى هذا الموضع ، تشير بصورة خاصة الى طاقية تترية ، ولهذه العلة لم اتقبلها فى كتابي . فانني اقرا مثلا فى كتاب النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 253) : كان صاحب سيس قد اعتمد ما يقتضي فسخ الهدية التى وقع الاتفاق عليها فى سنة ست وثلاثين عند اطلاق ولده ليفون وقطع الهدايا المقررة عليه وخالف الشروط من انه لا يجد ذنبا ولا يحصن قلعة . وصار لا يطالع بخبر صحيح كما تقرر معه . ثم لم يقتصر على ذلك الى ان صار يلبس الارمن السراقوجات ويخيف بهم القوافل ويدعي انهم من عسكر التتار » .

(51) الكجة : لعبة للصبيان ، ياخذ الصبي خرقة فيدورها كانها كرة ، ثم يتقامرون عليها (المعجم الوسيط) .

واعتقد ان هذه الكلمة لم تكن معروفة الاستعمال الا فى اسبانيا والمغرب ، واعترف ان ابن جبير يستعملها اثناء حديثه عن امير مكة ، ولكن هذا التخريج ما زال بعيدا عن اثبات ان هذه الكلمة كانت مستعملة فى بلاد العرب ، والا لكان الرحالة العربي الاندلسي قد خلع على هذا اللباس الذى رآه فى قطر آخر الاسم الذى كان يحمله فى وطنه .

ونجد لدى شارح عربي اندلسي للحريري (المقامات ، ص 255) وهو الشريشي جمع كرزية وهو كرازي . وكلمة كرزية لا مشاحة فى ان اصلها غير عربي ، واعتقد انها بربرية ، ذلك اننا فى المفردات البربرية لمؤلفها فنتير (رحلة هورنمان و ج 2 ، ص 449) نجد ان كلمة تركرزيت Terkerzit تعني عمامة . فاذا بترنا المقطع (تير) تبقى لدينا كلمة كيرزيت Kerzit ، وهي مماثلة كل المماثلة لكلمة كرزية العربية ، فاذا خلعنا على هذه الكلمة الصيغة العربية ، حصلت لدينا كلمة كرزية .

الكـــــــرك

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي الكلمة التركية كرك او كورك — ويحسبها كاترمير (صحيفة العلماء — 1842 — ص 72) .

من بين الكلمات التى لم يتبنها المتبنون فى مصر — الا بعد احتلال هذا القطر من قبل العثمانيين. والواقع انني لم اجد هذه الكلمة لدى مؤلف عربي — سابق على غزو السلطان سليم لمصر . ونجد فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 2 ص 90) كرك سمور .

ويقرر بوكوك فى كتابه (وصف الشرق — ج 1 — ص 327) ان الكرك Keriki كان فى مصر شبه فرجية — وكان يختلف عن هذا اللباس الاخير بأن كميه مقدودان بشكل آخر — وبأن الكيريكي Keriki لم يكن يرتدى فى الحفلات الرسمية — وكان هذا الثوب يعمل من الحرير .

ويعلمنا فريزر (اسفار الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ، الخ.. ج 2 ص 102) «ان شيوخ بدو المنتفك لا يتميزون عن اتباعهم الا بكرك مبطن بالفرو (52) . او بسترة وثوب من الجوخ او من الارجوان الانعم الارق الخ ..» (الاسقلاط — الاشكرلاط) .

الكســـــــاء

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس ، بالمعنى المراد .

ونحن نعلم ان هذه الكلمة تشير بصورة عامة الى لباس ، ولو لم يكن لها الا هذا المعنى الغامض ، لما قبلتها فى كتابي .

ولكن كلمة كساء لها معنى آخر ايضا ، فهي تشير الى ما تشير اليه كلمة حيك (راجع هذه الكلمة) . ويجزم دابر جزما قاطعاً فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، ص 239 ، مج 2) ان الحيك يسمى ايضا كساء Kissa فى المغرب . ونحن نعلم ان من كلمة كساء تألفت الكلمة الاسبانية Alquicer او Alquicel ، التى حتى المعاجم الحديثة تفسرها بما يلي : « لباس مغربي على هيئة Manteau معطف » ، وكذلك تشرحها بما يأتي : « قماش كانت تصنع منه اغطية المائدة » . واليكم ما يقوله كوبا روفياس (كنز اللغة القشتالية ، مدريد، 1611) حول كلمة Alquicel : « غطاء سرير (شرشف) او شيء آخر ، وهي منسوجة ، دون خياطة ، تستعمل غطاء سرير (ملاءة ، شرشف) . وهذه الكلمة مشتقة من فعل Queseye (كسا) التى تعني التغطية والالباس . هذا ما يقوله ديكودي اوريا : ويقول الاب كوادي ان كلمة Quicel تشير الى معطف (ازار) موريسكي (Capa morisca) وهناك آخرون يقولون ان Quise تعني فى اللغة العربية مقعدا (Asiento) Siège وعلى هذا فان كلمة Alquizel تعني حينئذ غطاء المقعد (La couverture du siège) . . ولكن قبل كل شيء ينبغي تصويب اوريا Urrea ، ذلك لانه متعمق فى فقه اللغة العربية » .

وتمثل لنا الاغاني الاسبانية القديمة فى معظم الاحيان الفرسان العرب مرتدين الكساء Alquicel (راجع مجموعة اغاني الموريسكيين الشعبية ، ص 13 ، 15 ، 164) . ويتحدث مارمول عن الكساء او

(52) لعله يقصد الفروة (المترجم) .

Alquicel ، ويجزم بأنه معطف من الصوف الغليظ. ويقول (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 3 ، مج 9) في معرض حديثه عن البربر في حيحا Héha : «لباسهم الاعتيادي ينحصر في الاكسية Alquicels . وهي تشبه اغطية المنام ، المصنوعة من الصوف التي تستعمل للتدثر بها ، ولكن هذه المعاطف انعم وارق، وتبطن بها الاجسام (53) . وبعد ذلك (ج 2 ، ص 38 ، مج 4) يقول على وجه التقريب نفس الشيء عن سكان سيكسيوا Secsiûa وهي سلسلة من الجبال في مملكة مراكش .

ويقول في موضع آخر (ج 2 ، ص 102 ، مج 3) عن سكان مدينة فاس ، « اما اناس الطبقة المتوسطة الذين لا يستطيعون توفير العباء لانفسهم (Casaques Sayos) فيكتفون بارتداء هذه الكسى التي يلتفون بها » .

ويتحدث دييكودي توريس (قصة الشرفاء ، ص 327) عن جاكيت يسمونها Alquicel ويقص علينا كاداموستو في كتابه الملاحة ، ص 99، 100) ان الزناغة (صنهاجة) Les Sinhadjah كما يلفظ العرب الكلمة ، يرتدون معاطف بيضاء يسمونها Alchezeli . واعتقد ان Al هي الاداة العربية ، و Li ، اذا لم اكن متوهما ، جمع ايطالي لنهاية جمع كلمة في لغة المندنكو (Lo) راجع ما كبرير قواعد لغة المندنكو ، ص 13) (54) .

فاذا بترنا الاداة ونهاية الجمع فاننا نحتفظ بـ Cheze-Kezé كيزيه ، التي هي ولا ريب الكلمة العربية (كساء) .

وكلمة كساء بهذا المعنى مؤنثة ــ فنحن نقرأ للمقري او بالاحرى لابن سعيد (لدي فريتاك ، طرائف عربية ، ص 148 ، 149) قال لابنه : « اعط هذا الشاب كساك الغليظة يزيدها على ثيابه . فدفع كساءه الي . ولما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبها ويده في الكساء » .

ونرى في تعليق دي كايانكوس على هذا النص (تاريخ السلالات المحمدية في الاندلس ، ج 1 ، ص 413) ان مخطوطة المقري التي يتملكها هذا العالم تذكر بكلمة بردة هنا بدل كلمة كساء . والواقع ان المعطف الكبير المسمى بردة ، لم يكن ليختلف كثيرا عن الكساء .

واليكم امثلة اخرى حول كلمة الكساء مأخوذة بمعنى معطف . يقول ابن خاقان (مطمح الانفس) مخ سان بطرسبورك ، 776 ، ص 52) : قال محمد ابن اسماعيل ، كاتب المنصور : « سرت بأمره لتسليم جسد جعفر الى اهله وولده ، والحضور على انزاله في ملحده ، فنظرته ولا اثر فيه ، ولا عليه شيء يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين » .

ويعد مؤلف الكتاب المعنون الحلل الموشية (مخ 24 ، ص 9) من بين هدايا يوسف ابن تاشفين : « سبعمائة كساء بيض ومصبوغة » .

لذلك ارى ان كلمة كساء بهذا المعنى لم تكن مستعملة الا في الاندلس والمغرب .

الكف وجمعه الكفوف

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد، وكلمة كف تشير الى اليد ــ ومن هذا نجم ان كفوفا تستعمل للتعبير عن القفافيز . ونجد في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ــ ج 1 ص 1) : وكان الملك لابسا كفوفا من جلد السرادق . اما كلمة سرادق التي يترجمها و. تورنس Torrens بكلمات « حيوان مفترس »
. une bête de proie (a beast of prey)

فيخيل الي انها تشير بالتاكيد الى حيوان يستعمل لصنع الافرية ــ واعتقد انلها نفس المعنى في هذا النص لابن خلدون (تاريخ الاندلس ــ مخ 1350 ــ ج 4 ــ

(53) ان فعل Batanar الذي نجده في هذا النص، والذي تستعمله عدة قواميس اسبانية قديمة وحديثة ، وقد استشرتها ، لا تعطي الا معنى واحدا لا يلائم الموقف هنا ، فهو يعني الالتفاف بشيء (راجع مارمول ، ج 2 ص 9 ، مج 3 ، ص 32، مج 2) ، وهو مشتق من الفعل العربي بطن الذي يبدو أن عرب الاندلس قد استعملوه بهذا المعنى . (بيدرو دي الكالا) مفردات عربية ، يقول حول كلمة Aoriste Batanar (نبطن ، بطنت ، بطن).

(54) Grammer of the Mandingo language زنوج سودانيون ، اسسوا امبراطورية مالي القوية عام 1230 .

ص 12) : وعشرة افرية من غالي جلود الفنك الخراسانية وستة من السرادقات العراقية .

وهذه الكلمة وكلمة قفاص (عد الى الصفحات السالفة) هما ـ حسب علمي ـ الكلمتان الوحيدتان اللتان تستعملان للتعبير عن القفافيز : Des gants وهي جزء من الملابس ـ نادر الوجود كل الندرة في الشرق .

الكلفة ـ الكلفتاة ـ الكلوتة

لقد سبق لكاترمير ان كتب في (تاريخ السلاطين المماليك ـ ج ـ ق 1 ـ ص 138 ـ تعليقات ومقتبسات ـ ج ـ 13 ـ ص 271) ملاحظات غاية في الاهمية ونفاذ البصيرة وثقوب الراي وصحة الاحكام ـ حول هذه الكلمة ـ وبرهن على انها : طاقية تؤلف هيكل العمامة ـ وعلاوة على ذلك فانها نفس كلمتنا : كالوت Calotte وهذا الجنس من الطاقية لم يكن يلبسه الا رجال الطبقة الرفيعة .

وانني اقرا لدى المقريزي (وصف مصر ـ ج 2 ـ مخ 372 ـ ص 350) : كان من الرسم في الدولة التركية ان السلطان والامراء وسائر العسكر انهم يلبسون على رؤوسهم كلوتة صفراء مضربة تضريبا عريضا ولها كلاليب بغير عمامة فوقها . وتكون شعورهم مضفورة مدلاة بدقوقة وهي في كيس حرير اما احمر او اصفر .

وبعد ذلك بقليل (ص 351) يعلمنا المقريزي ان السلطان الملك الاشرف خليل : بدل الكلفتات الجوخ والصفر ورسم لجميع الامراء ان يركبوا بين مماليكهم بكلفتات الزركش .

وساحملكم مرة اخرى على ملاحظة ان هذه الكلمة تؤلف كذلك في حالة الجمع كلاوات ـ لانني اقرا في نص من تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ـ ص 110) : انعم عليهم وشملهم بالخلع السنية بالكلاوات الزركش ـ وفي مجلد آخر ، مكتوب بخط المؤلف (مخ 19 ب ـ ص 29) : فركبوا بالكلاوات الزركش.

الكمة

يذهب القاموس (ط كلكتا ـ ص 1690) الى ان الكلمة هي : (القانسوة المدورة) .

الكمر

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويعلمنا المقريزي (وصف مصر ـ ج 2 ـ مخ 372 ـ ص 350) ان الامراء والجنود والسلطان نفسه ـ في ايام حكم السلالة التركية ـ كانوا يرتدون (من فوق القباء كمران بحلق وابزيم) .

نرى مما تقدم اذن ان كلمة كمر الفارسية قد تسللت الى اللسان العربي ـ وان (كمران) المقريزي هو مثنى كمر في اللغة العربية . ويقول لين (الف ليلة وليلة ـ ج 2 ـ ض 600) ان الحزام الذي يحتوي على حافظة النقود يدعى عادة بالكمر .

الكمرة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نجد في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ـ ج 2 ـ ص 427) : وقد ارسلت اليكم ملحفة ومكمرة . ويذهب لين في تعليقه على هذا النص (ج 2 ـ ص 600) الى ان المكمرة تشير الى نفس ما يشير اليه الكمر . وقد فرغنا توا من التحدث عن هذه الكلمة .

الكمع

يذهب القاموس (ط كلكتا ـ ص 1086) في تفسير هذه الكلمة الى انها القباء نفسه .

الكنبوش وجمعه الكنابيش

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المنشود .

ويترجم بيدرو الكالا (مفردات اسبانية عربية) كلمة Antifaz بكلمة كنبوش ، كنابيش ، وان كلمات Toca de muger و Velo de muger يعبر عنهما نفس التعبير في كتابه .

ويترجم دونباي Dombay (قواعد ولغة المغاربة العرب ، ص 83) كلمة Velum بكلمة كنبوش . فهذه الكلمة اذن تشير الى صنف من الخمار تلبسه نساء الاندلس والمغرب . ولا يخالجني ادنى ريب بمماثلة هذه الكلمة للكلمة الاسبانية Cambux التي تشير ، حسب مذهب هيروسم فيكتور في كتابه كنز اللغات (Tesoro de las tres lenguas, Genève, 1609 الى قناع او خمار او نقاب يغطي الوجه ».

وتذهب المعاجم المحدثة الى انه : « منديل راس او عمارة راس صغيرة من البز تحفظ بها رؤوس الاطفال » . وهي توازي كذلك الكلمة الاسبانية Cancabux التي تشير ، حسب راي فيكتور ، الى كلمة Antifaz ذاتها ، اي انها خمار يوضع على الوجه (55) .

الكسور ـ الكسورة ـ الكسوار

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 651) هذه الكلمات بانها العمامة .

الكوفية والجمع الكوافي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

واليكم باديء الامر ما يقوله ليس (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 130) : « الكوفية منديل مربع يلبس فوق الراس ، له من الطول ذراع ، ومثله من العرض ، وهو من الوان مختلفة ، ولونه احمر غامق او ضارب الى الدكنة او من اللون الاخضر الزاهي ومن الاصفر المرقط احيانا ترقيطات واسعة واحيانا ضيقة، وعلى طول النهايتين المقابلتين له هدابات كثيرة ، مؤلفة من شرائط وقنزعة . واشيع شكل من الكوفية مؤلف من القطن ، وهناك نوع آخر من القطن المشوب بالحرير ، ونوع ثالث من الحرير المكفت بالذهب . وهذه الكوفية يلبسها في هذه الآونة الوهابيون وبعض قبائل البدو . ولكن الوهابيين يلبسون النوع الاول من الكوافي فقط ، لانهم يرون ان الملابس المصنوعة كلا او جزءا من الحرير او الصوف محرمة من قبل الشريعة . وكان هذا اللباس منتشرا في القديم بين سكان المدن . ويلبسه الرجال بوجه خاص ، وتطوى هذه الطرحة بصورة منحرفة، وتوضع فوق الطاقية ، بهيئة تتدلى معها على الظهر الزاويتان المثنيتان ، والزاويتان الاخريان على الجبهة . وهناك قطعة من الصوف ، او عمامة تلف على العموم حول الطرحة ، وفي بعض الاحيان يتعمد بعضهم ابراز الزوايا ، او اظهار الاقسام المتدلية على الجبين ، وتعقص هذه الزوايا في اعلى نقطة من العمامة . وسكان المدن يلبسون عادة العمامة فوق الكوفية » . وبوسعكم مقارنة هذه التفاصيل بتلك التي هيأها لنا فيسكيه Fesquet في كتابه (رحلة الى الشرق ، ص 185 : Voyage en Orient) الذي يكتب الكلمة Couffie او Caffieh .

وكان السلاطين المماليك في مصر يلبسون الكوفية (تاريخ السلاطين المماليك) وفي عهد تلفيق الف ليلة وليلة ، كانت النساء تلبس هذه العمرة . فنحن نقرا في هذا الكتاب (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 333) : « خلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية حرير » . وفي موضع آخر (ج 1 ص 45) : « كوفية بألف دينار » . وبعد ذلك (ج 1، ص 596): « على راسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص الثمنة (56) » . وفي موضع آخر (ج 1، ص 833) : « فوق راسها كوفية مطرزة بالذهب مرصعة بالجوهر ». ويرى لين (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 614) ان النساء كن يلبسن الكوفية مثلما يلبسن اليوم الفرودية اي بلف الطرحة حول الراس ، بحيث انها تؤلف عمامة صغيرة .

ويكتب بركهارت الكلمة Keffie فيخطيء قليلا (ملاحظات على البدو والوهابيين ، ص 27) . واليكم كلماته : « يضع جميع البدو على الراس عمامة » . (يفسر بركهارت الكوفية بالعمامة ، فيعطي للقاريء فكرة زائفة عن هذا النوع من لباس الراس) » او

---

(55) ماذا نستنتج من كل هذا الكلام ، هل الكنبوش هو الخمار فحسب ، أم هو بخنق المولود ، الذي ذكره المتنبي ؟ (المترجم) .

(56) يفسر هابيخت في قويميسه ـ بصدد الجزءالثاني من طبعته لالف ليلة وليلة ـ دق المطرقة براية الذهب او الفضة Paillettes d'or ou d'argent وان كوفية او خلعة (ط Nabicht ج 2 ، ص 46) مؤلفتان برمتيهما من براية شيء غريب مضحك. ولكن كلمتي دق المطرقة ، او دق فقط ، دلالة على الزركش . فانني اقرا في كتاب النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 154 انه وجد لدى احد الكبراء : « خمس مائة صندوق من دق دمياط وتنيس برسم كسوة جسده » . ونحن نعلم ان دمياط وتنيس كانتا مشهورتين بمصانع الزركش . وقد راينا في موضع آخر من الفقرة الاولى من من الف ليلة وليلة ، التي اتينا على ذكرها في النص ، ان الكوفية كانت تعمل من الحرير ، ومن الفقرة الثالثة انها كانت مطرزة بالذهب ، وهذاكله يفسر دق المطرقة !

طرحة مربعة ، مصنوعة من القطن ، او من القطن والحرير ، بدلا من طاقية الاتراك الحمراء ـ وتسمى هذه العمامة كوفية ، وهم يلفونها حول الراس بحيث ان جانبا منها يتدلى الى الوراء ، وان الجانبين الآخرين يهبطان امام الكتفين، وبهاتين الزاويتين يغطي الوجه، لوقايته من اشعة الشمس ولحمايته من الريح الحارة ، وتجنيبه المطر ، او لاخفاء ملامحه وقساماته، اذا لم يشأ الانسان ان يعرفه احد . والكوفية صفراء، أو صفراء وخضراء » . ونحن نقرأ بعد ذلك في كتاب بركهارت (ص 131) : ان طرحة الراس أو الكوفية ذات الخطوط الصفراء والخضراء ، التي يستعملها الرجال ، هي شائعة الاستعمال بين كافة قبائل شمال مكة ».

وما دام بكنكهام (اسفار في بلاد ما بين النهرين ، ج 2 ، ص 159) يقول : « ان اعراب الصحراء يتميزون بكوافيهم ، أو بعمرتهم الحريرية ، والقطنية فانني لا اتردد عن التفكير بأن كيربورتر (اسفار الى جورجيا وفارس وارمينيا وبابل القديمة ، ص 292 ، 293 ، ج 2 الخ) يتحدث عن الاعراب الزبيديين في العراق العربي قرب بغداد : « بعمرة الراس تتميز اقدار الرجال لدى الاعراب » . والكوفية هي هي او تكاد تكون كذلك لدى كل الاعراب بصورة عامة ، وهي تتألف من شقة بز صفراء او حمراء ملفوفة حول الجبين بمثابة عمامة طويلة ومدببة تسقط على الصدر . واحيانا يمرر طرف منها فوق الذقن ، وحين تسقط هذه الشقة من البز فوق الكتف فهي تخفي كل الاخفاء العنق والقسم الاسفل من الوجه ».

ويقول فريزر (اسفار في كردستان وبلاد ما بين النهرين ، الخ ، ج 1 ، ص 228) عن اعراب بغداد « ان عمرة راسهم ليست اقل غرابة . فهي ليست عمامة ، كما يفكر الكثيرون ، انما هي على العكس من ذلك لا تشبه العمامة اي شبه . وهذه العمرة تنحصر في نوع من الطرحة الحريرية الكثيفة النسيج ، وهذه الطرحة مخططة بخطوط متلالئة براقة، صفراء وحمراء ، في حين ان لحمة الاطراف مبرومة على هيئة حبال رفيعة ، بمثابة حاشية بالغة الطول . وبعد ان تطوى شقة البز على هيئة مثلث ، توضع على الراس ، كما هي العادة الموجودة لدى العجائز الايقوسيات تماما ، بحيث يتدلى طرفان الى امام الكتفين ، اما الطرفان المضاعفان فيطرحان على الظهر » .

(مقارنة الجزء الاول) .

وقد رأينا حول كلمة طاقية في نص للمقريزي ان جمع كلمة كوفية هو (كوافي) . ولا اعتقد ان احدا تسول له نفسه ان يخلع على كلمة كوفية اصلا عربيا . اما انا فاعتقد ان كلمة الكوفية ليست الا كلمة Cuffia الايطالية ، و Cofia الاسبانية ، و Coiffe و Coifa البرتغالية .

وافترض كذلك ان الشرقيين قد استعاروا هذه الكماة من الايطاليين الذين كانوا يمارسون التجارة في الموانيء المصرية والسورية في القرون الوسطى ، وهم الذين كانوا ينقلون الصليبيين .

ولعل الاتراك قد نحتوا كلمة اسقوفية (كوفيتهم) من نفس الكلمة الاوروبية ـ وسأحملكم على ملاحظة ان كوتوفيك Cotovic في كتابه (رحلة ، ص 489) (Itinerarium قال في معرض كلامه عن الفتيات اليهوديات في الشرق : « انهن معتمرات بالكوافي الفضية او الذهبية ، يتخذنها كزينة ، اذا كن في مقتبل العمر ، اما المسنات منهن فيلبسنها للمحافظة على هندام الشعر من جهة وعلى السمت والوقار من الجهة الاخرى » (*) .

اللبيبة

يقول الجوهري (ج 1 ـ مخ 85 ـ ص 93) : اللبيبة ثوب كالبقيرة (راجع كلمة اتب) .

اللبدة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ـ بمعنى طاقية ـ عرقية ـ كلوتة . ويقرر لين (المصريون المحدثون ـ ج 1 ص 45) ان كلمة لبدة تشير الى طاقية من اللباد الابيض او الاسمر ـ التي يلبسها الرجال في القاهرة تحت الطاقية الاعظم المسماة بالطربوش . (اذن فهي نفس الشيء ـ من حيث الاستعمال ـ كاستعمال الطاقية لدى الاشخاص من

(*) ندرج في آخر المعجم مقالا عن مجلة المقتطف ـ عدد مارس 1941 بعنوان « الكوفية والعقال » « مقال بكر في موضوع قديم جديد » ـ بقلم الاب انستاس ماري الكرملي .

الطبقة المترفهة) . ونجد فى القاهرة أناسا فى حالة فظيعة من الفقر والادقاع بحيث انهم لا يلبسون طربوشا ولا عمامة ـ فيكتفون باللبدة وحدها : La libdeh ونقرا فى : رحلة الى الشرق ص (183) لمؤلفها فيسكيه Fesquet : « لا يضع الفقراء الملقون فى مصر على رؤوسهم الالبدة ـ وهي نوع من الطربوش الابيض او الاسمر ـ مصنوع من الصوف المقصور » .

اللبـــاس وجمعـــه الالبســـة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد .

ونحن نعلم ان كلمة لباس تستعمل لدى اعراب كافة الاقطار بمعنى Vestitus, l'habillement الملبوس . ولكن لهذه الكلمة فى مصر معنى لا يوجد فى الاقطار الاخرى ؛ فهو يشير الى سوروال Un caleçon تبان . ويحدث فى كثير من الاحيان ان ترد فى نسخة من كتاب الف ليلة وليلة كلمة سراويل وفى النسخة الاخرى كلمة لباس ؛ فيحملنا هذا الوضع على الاعتقاد بأن هاتين الكلمتين مترادفتان . فنحن نقرأ مثلا ؛ فى طبعة مكناكتن (ج 1 ، ص 171) : «وكانت من غير لباس» . فى حين ان طبعة هابيخت (ج 1 ص 60) تكتب : « وكانت بلا سراويل » . وبعد ذلك طبعة مكناكتن (السالفة) تعرض : « حل لباسه » . وطبعة هابيخت (السابقة) تقول : « قلع سراويله » .

ونقرأ فى موضع آخر من طبعة مكناكتن (ج 1 ، ص 172) : « وهو بلا لباس » . وفى طبعة هابيخت (ج 2 ، ص 62) : « وهو بلا سراويل » . وبعد ذلك فى طبعة مكناكتن الماضية نقرأ : « من غير لباس » . وفى طبعة هابيخت (ج 2 ص 63) نطالع : « بلا سراويل » .

ونقرأ فى تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ، ص 234 ، حوادث سنة 815) : « القوه على مزبلة خارج المدينة وهو عريان مكشوف الراس ليس عليه غير اللباس » . ونطالع فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 604) : « حلت لباسي وربطت محاشمي بحبل وامسكته لجاريتين وقلت لهما : « جرا الحبل . فجرتاه ففشي علي ـ وقطعت ذكري وبقيت مثل المراة » . (57) . وفى موضع آخر (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 78) : « قلع البدلة ورماها على ظهر البغلة انى ان بقي بالقميص واللباس فقط . » (58) . وبعد ذلك (ط مكناكتن ، ج 2، ص 106) : « فقامت زوجة الوالي ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير والبستها لباسا من الخيش وقميصا من الشعر وانزلتها فى المطبخ (59) . وقد نشر بركهارت (الامثال العربية، ر 6) المثل المحدث التالي : « اذا كانت العمائم تشتكي الفسه ايش يكون حال الالبسة ؟ (60) . ويضيف قائلا : « ان هذا المثل يستعمل عندما يتذمر سكان القاهرة من الاضطهاد ، فى حين ان الفلاحين لديهم اسباب اقوى لجعلهم متذمرين » .

---

(57) سيلحظ المستشرقون بسهولة علة اضرابي عن ترجمة هذه الفقرة !

(58) تشير كلمة بدلة الى : الملبوس الرائع الجديد . فنحن نقرأ فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1، ص 122 : « ارسلتها الى الحمام والبستها بدلة». حيث لين (ج1، ص 194) يترجم New apparel وحيث طبعة هابيخت (ج 1 ، ص 310) تقدم هذه الكلمات : «البستها من افخر ملبوس » . ونجد فى موضع آخر من نفس الكتاب (ط مكناكتن ، ج 1 ص 348) : « اشتر لكل شخص منهم اربع بدلات كوامل من احسن القماش » . وبعد ذلك (ج 1 ، ص 425) : « بدلة لباس تركية مزركشة ». وفى لفيف من فقرات اخرى توجد كلمة بدل مستعملة بنفس المعنى وعبثا نبحث عن هذه الكلمة فى القاموس .

(59) ان كلمة صيغة ومصاغ ومصوغ تشير الى زراكش الذهب لاسيما تلك التي تستعملها النساء. فنحن نقرأ فى كتاب النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 170) : « ومعها جارية تحمل القماش والمصاغ (مقارنة حكاية هذه الواقعة فى تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ص 247) . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 245) :« الاموال والقماش والمصوغ » .

(60) معنى هذا المثل البذيء : « اذا كانت العمائم تشتكي من الفساء ، فما حال التبابين ؟ » .
(المترجـــم)

وائبسة جمع لباس ، وهو السروال الذى يلبس تحت السروال الاكبر ». (Under the great trowsers)
ويفسر الكونت دي شابول فى (وصف مصر ، ج 18، ص 107) كلمة لباس بكلمة Culotte d'été لباس الصيف ، المصنوع عادة من الخام » . وبعد ذلك (ص 112) يقول : « اللباس هو الكالسون Caleçon التبان او تبان الصيف Culotte d'été المصنوع من خام الكتان او القطن » . وكذلك يقول لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39) : « ان اللباس يشير الى كالسون واسع (تبان) من الكتان او من القطن » .. والكالسون يتجاوز الركبة قليلا ، او يصل حتى كعب القدم ، ولكن الكثرة الكاثرة من الاعراب لا ترتدي التبان الطويل ، لان ذلك محرم بأمر رسول الله » . وحتى ايام الحملة الفرنسية على مصر كان تبان النساء يسمى كذلك باللباس ، ولكن فى ايامنا هذه لا يحمل هذا الا اسم الشنتيان . (راجع لين ، ج 1 ، ص 56) .

ويخبرنا هيلفريتش (تقرير موجز واقعي عن الرحلات ، ص 393) « ان رجال القاهرة كانوا يلبسون فى عهده ، تبانا طويلا عريضا، مصنوعا من الكتان الابيض ، يتدلى حتى يكاد يلامس الحذاء ». ويقول غايوم ليتكوف (رحلات برية فى القرن التاسع عشر ، ج 1 ، ص 171) عن تبابين نساء القاهرة الكتانية .

وتحدث كاترمير فى (كتابه القيم الذى سيرد ذكره ، ج 1 ، ق 1 ، ص 58 ، 59) عن كلمة فتوة وتعابير كاس الفتوة وسراويل الفتوة ولباس الفتوة ، وذلك فى احدى تعليقاته النفيسة ، حول تاريخ السلاطين المماليك ، وهو الكتاب الذى ادى اجل الخدمات لعلم فقه اللغة العربية ، وقد صدر فى اوروبا على شكل شروح . ولكنني مستغرب مع ذلك من هذا العالم الجليل لانه لم يلحظ ، فى معارضته لنص المقريزي ، الذى ترجمه ، مع بيت ابي الحسين الجزار ، ان كلمة لباس هي مرادف لكلمة سراويل ، واتعجب مرة اخرى من ترجمة كاترمير كلمة لباس بكلمات Robe de dessus رداء فوقاني ، وهو المعنى الذى لم يخطر ببال كلمة لباس مطلقا . وفضلا عن ذلك فان النصين التاليين لابن بطوطة جديران . اذا لم اكن متوهما ، بتوضيح تعبيري لباس الفتوة وسراويل الفتوة ، وهما متماثلان . يقول هذا المؤلف (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 84) فى معرض وصف شيراز : « وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب، وهي اعظم كرامات السلطان عندهم . واذا خلع ثيابه كذلك على احد كانت شرفا له ولابنه واعقابه يتوارثونه ما دامت تلك الثياب او شيء منها واعظمها فى ذلك السراويل » . وفى موضع آخر (ص 124) : « وله طائفة كبيرة من التلاميذ والهم فى الفتوة سند يتصل الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ولباس الفتوة عندهم السروال كما تلبس الصوفية الخرقة » . وبدل لباس الفتوة (تبان الفتوة) ، يقال ايضا ببساطة : « الفتوة » . فنحن نقرأ مثلا فى تاريخ مصر للنويري امخ 2 . ص 146: « وفى هذه الليلة حضر الخليفة الى خيمة السلطان (بيبرس) والبسه الفتوة بحضور من يعتبر حضوره فى ذلك » .

ويستعمل مذيل اعمال المكين Elmacin ، وهو يروي نفس الواقعة (لدى كاترمير ص 59) ، تعبير: « لباس الفتوة » .

اللثـــام

يقول لين (الف ليلة ليلة ـ ج 1 ـ ص 485) : « اللثام هو قطعة بز يغطي بها البدو فى معظم الاحيان الجزء الاسفل من الوجه ، واللثام يمنع كثيرا معرفة العربي من قبل عربي آخر يروم ان يجعل منه ضحية الثار او الانتقام La vendetta ، وهو وسيلة للتنكر لا يستعملها عادة الا العرب الذين يقطنون الصحراء » .

وحين ارادت الاميرة بدور ان تنتحل شخصية زوجها اخذت ملابسه : ضربت لها لثاما (الف ليلة وليلة ـ ط مكناكتن ـ ج 1 ـ ص 878) . ونقرأ فى موضع آخر من الكتاب الذى ذكرته (ط مكناكتن ـ ج 2 ـ ص 59) : واذا بالملك امراة ضاربة لها لثاما . وبعد ذلك (ج 2 ـ ص 117) ـ فى معرض الحديث عن سيدة لا تريد ان يعرفها الناس : وهي ضاربة لثاما . فلما كشف ذلك الملك اللثام عن وجهه واذا هو جارية كالشمس الضاحية فى السماء الصاحية ذات حسن وجمال . وهذا النوع من الخمار كان يحجب من النساء الجزء الاسفل من الوجه كما يغطي نفس الجزء من الرجال . ويقول المعتمد (فى الخريدة ـ

مخ المكتبة الملكية فى باريس – رقم 1375 – ص 146) :

ولولا حياء جئتها الليل طارقا
« وقبلت ما تحت اللثام من اللمى »

وان سلالة المرابطين Morabites قد استعارت اسمها من (الملثمين) ومن (اولاد الملثمة) من العادة التى درج عليها المرابطون بوضع اللثام تحت النقاب. راجع البكري فى ص 63 – ج 12 – تعليقات ومقتبسات لكاترمير) اذ نرى من تعليق هذا العالم الشارح كاترمير – ان العادة ما تزال باقية حتى ايامنا هذه لدى الطوارق والطيبو :
« Les Touarics et les Tibbo »

اللحـــــاف

تشير كلمة لحاف ، مثل كلمة ملحفة ، الى كساء واسع للمراة . ويقرر ابن جبير (الرحلة ، مخ 320 ، ص 200) ان الصقليات (التحفن اللحف الرائقة) وقد احتفظن ، ايام الدولة النورماندية ، بالزي الاسلامي . ويخبرنا النقيب ليون (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 156) ان الطوارق يلفون رؤوسهم بخمر زرق تسمى El Khaaf اللحاف. ولا يساورني ادنى ارتياب فى ان كلمة El Khaaf هي تحريف للكلمة العربية لحاف ، او اللحاف ، اذا اضفنا اداة التعريف .

الملحـــف ، الملحفـــة

كانت تشير كلمة ملحفة فى القديم الى ازار رجل . ويقرر كتاب عيون الاثر (مخ 340 ، ص 189) ان الرسول (ص) ترك فيما ترك ، وهو يجود بنفسه ملحفة مورسة (مصبوغة بالورس) .

وقد راينا آنفا ، بصدد كلمة خرقة ، بفضل نص من رحلة ابن جبير ، ان الملاحف هي ملابس البدو . ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 17) عن البجاة فى مدينة (ايذاب): « وهم سود الالوان يلتحفون ملاحف صفر » . ويستعمل كتاب شرقيون آخرون كلمة ملاحف ايضا عندما يريدون الاشارة الى الازر التى تستعملها الشعوب المنعتقة من الهمجية . والواقع ان النقيب ليون (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 155 يؤكد ان الازر المخططة المرقطة ، التى يرتديها اهل السودان تدعى Melhaffi Zaberma .

ولكن كلمة ملحفة كانت تستعمل فى المغرب والاندلس للاشارة الى الخمار الكبير او الازار الذى تتحجب به لنساء فى الشرق ، حينما يبرزن من منازلهن ، ولذى اطنبت فى الحديث عنه بصدد كلمة ازار . ويقول الرحالة المغربي ابن بطوطة (الرحلة ، مخ ، ص 83) فى معرض حديثه عن نساء شيراز : « ويخرجن ملتحفات متبرقعات فلا يظهر منهن شيء » . ويقول دييكو دي توريس (قصة الشرفاء، ص 86) بجزم وصراحة ، ان الثياب التى ترتدى فى مراكش Liçares ليسارس (الازر) تسمى فى غرناطة Almalafas الملاحف (61) . وقد قرانا هذا النص بصدد كلمة ازار ، ورايناه فيه ايضا ان مارمول يتحدث عن الملاحف او الازر » Melhafas o lizares . ويقول دييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ، ص 27 ، مج 2) ترتدي النساء العربيات فى مدينة الجزائر فوق القميص نوعا آخر من القمصان ، على ثلاث هيئات (62) اي ملحفة تشبه شرشف انام » :
(Que es a manera de una sabana

---

(61) تذكروا ان عبودية ثماني سنوات فى مدينة الجزائر حملت سرفانتس حملا على ملاحظة ازياء الافارقة .

(62) سبق لنصوص دييكو دي هيدو ودييكو دي توريس وكوبا روفياس ان اوردها كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ، ص 654) . وتعني كلمة محلفة كذلك غطاء . راجع المقريزي (لدى سيرفستر دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 1 ، ص 35 من النص) وهو يتحدث عن غطاء (ماحفة من الـ (مرتبة). وكذلك كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 427) . وكانت مدينة بعلبك مشهورة بصنع هذه الملاحف (ابن بطوطة ، مخ دي كايانكوس ، ص 30) . وكلمة لحاف لها نفس المعنى (الف ليلة وليلة ، ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 82) . وتستعمل كلمة ماحفة ايضا فى التحدث عن غطاء (او جل) يوضع فوق ظهر الحصان . فنحن نقرا لدى ابن خلدون (تاريخ الاندلس ، مخ 1350، ج 4 ص 12) : « ثمانية واربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير الذهب » .

الا ان هذا الاخير مربع ، وان الـ Malaxa الملحفة عرضها ثلاث اذرع ، او ثلاث اذرع ونصف الذراع ، وطولها ثماني او تسع اذرع ، وهن يلففن اجسامهن بها فوق القميص » .

ويصور لنا سرفانتس Cervantes في كتابه » اقاصيص نموذجية — Novelas exemplares ج 1 ، ص 13 » احدى بطلاته وهي مرتدية على الطراز البربري ملحفة Almalafa من الاطلس الاخضر مرصعة بالذهب (راجع كذلك كوبا روفياس ، كنز اللغة القشتالية ، مدريد 1611) حول كلمة ملحفة . وقد حرم فيليب الثاني على نساء غرناطة ارتداء الملاحف (مارمول ، حكاية المغاربة ، ص 36 ، مج 1).

الملفة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويذهب ابن جني (شرح ديوان المتنبي ، مخ 126 ، ص 103) الى ان هذه الكلمة تشير الى قطعة بز تضعها النساء على الوجه ، توقيا للخمار من الدهن الذي يدهن به شعورهن . واليكم كلمات الشارح : الغفارة : كل ما توقي به المراة الخمار من الدهن . ويقال له الغفار والصقاع والملفة .

اللفاع

لا يمكن لهذه الكلمة ان تحتل محلها في هذا الكتاب الا بمعنى ملحفة، وهو المعنى الذي يخلعه عليها القاموس . وفضلا عن ذلك فان للفاع معنى يتسم بسمة العموم ، ذلك لان القاموس (ط كلكتا، ص 1088) يفسره هكذا : الملحفة او الكساء او النطع او الرداء وكل ما تتلفع به المراة . والواقع ان هذه الكلمة تشير الى كساء واسع للمراة . وان ابن خاقان في كتابه (تاريخ بني عباد ، ج 1 ، ص 45) يعبر عن الموضوع باستعمال مجازي فيقول : « فاضحت ولها بالتداعي تلفع واعتجار (في معرض وصف حالة الخراب التي آل اليها قصر الزهراء) . (اي انه بعد ان تمتع ماتمتع بالجمال والبهاء واللألاء والاشراق والعزة والمجد) اصبح هذا القصر في يوم من الايام انقاضا فوق انقاض ، وقد التف بالخرائب كما تتلفع المراة بالازار والعمرة » . ومعنى ذلك ان القصر انهار انهيارا شاملا . والمؤلف يقارن البناية المخربة بامراة متلفعة بازارها الفضفاض وبتاج راسها ، بحيث اصبح من الاستحالة بمكان تمييز احد اجزاء جسمها .

المجون

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

على ان هذه الكلمة المشتقة من فعل مجن (Durus crassus fuit) تشير — حسب تقرير المقريزي (راجع آنفا ما دار من الكلام حول كلمة جوخة) الى ثوب له كمان وهيكل قصار — وهو مفصل من الجوخ — دون بطانة داخلية — ولا بطانة خارجية .

المرط

يقول القاموس (ط كلكتا — ص 970) عن المرط انه (كساء من صوف او خز) . ويقول التبريزي (شرح الحماسة — ص 504) ما يقارب هذا القول . ويقول الجوهري : « المروط وهي اكسية من صوف او خز كان يؤتزر بها . ويقول ابن جني كذلك في (شرح ديوان المتنبي — مخ 126 — 249) : « والمرط شبه كساء تلبسه نساء الاعراب وتأتزر به . ويقرر النووي (تهذيب الاسماء — ص 33) ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرتدي احيانا (مرطا اسود من شعر اي كساء) .

ولكن يبدو بالبداهة من بيت مذكور في الحماسة (ص 579) مستشهد به الجوهري (ج 1 — مخ 85 — ص 520) والشارح ابن خاقان (لدي فيرس — حول ابن زيدون — ص 40 — 137) ان كلمة مرط تعني كذلك نوعا من التبان السروال .

المار

يفسر القاموس (ط كلكتا — ص 1948) هذه الكلمة بانها (كساء صغير له خطوط مرسلة وازار الساقي (الساق) من الصوف المخطط .

المز او المزد

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تحريفات من الكمة التركية مست . ويذهب الكونت دي شابرول فى (وصف مصر ـ ج 18 ـ ص 109) الى ان حذاء المصريين يتالف باديء ذي بدء من المست Mest ـ وهو نوع من الجواريب معمولة من السختيان المراكشي ـ الذى يغطي القدم بتمامها » . ونحن نقرا لدى لين (المصريون المحدثون ـ ج 1 ـ ص 42) « بعض الناس يلبسون كذلك الخفاف (Inner shoes) المشغولة من السختيان المراكشي الاصفر اللين الناعم الملمس ـ مع بطانة نعلية من نفس الجلد ـ ويسميه : المز او بصورة اصح المزد ـ وهو تحريف للكلمة التركية المست ».

المســـــح

ان جمع هذه الكلمة هو مسوح . ويعرض كوليوس كلمة مسوح بوصفها مفردا ـ ولكنني اعتقد انه متوهم .

فنحن نقرا فى اساطير بيدبا (ص 12) : « القى عليه مسوحه وهي لباس البراهمة » . وبعد ذلك (ص 30) : « فلما جاء الرسول قام فلبس الثياب التى كان يلبسها اذا دخل على الملوك وهي المسوح السود » . وفى الشرح التاريخي لابن بردون على قصيدة ابن عبدون (مخ ـ ص 75) : « ثم انخلع من ملكه وابس المسوح وساح فى الارض » . وفى رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ـ ص 151 ـ 152) : واكثر هؤلاء الملوك اذا بلغ الستين او السبعين بنى مانستارا ولبس المسوح وهي ثياب الشعر وقلد ولده الملك واشتغل بالعبادة حتى يموت » . وفى موضع آخر (ص 152) يقول نفس المؤلف ان الراهبات فى بيزنطية يلبسن المسوح (عليهن المسوح) . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن) ان درويشا قال : « لبست مسحا اسود » . ونستخلص من فقرة لابن خاقان (مطمح الانفس ـ مخ سان بطرسبورك ـ ص 76) ان المسوح فى اسبانيا كان يرتديها العبيد النصارى . وانه كان لباسا لا شان لتفصيله ـ ولعله كان يشبه بعض الشبه كيس العبريين (63) . وكان يرتديه الرهبان بصورة خاصة وكذلك العبيد . ونستنتج بالاضافة الى ذلك من فقرة للمقري (تاريخ الاندلس ـ مخ دي غوتا ـ ص 365) ان المسح كان لباس الحداد . فان هذا المؤرخ يجزم بارتداء القيان للمسوح بعد وفاة المنصور ـ فيقول : « لبس قيان المنصور المسوح والاكسية بعد الوشي والحبر والخز » (64) .

المسومـــــي

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكن فى احد كتب بركهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين ـ ص 17) نجد ما يلي : « هناك انواع مختلفة من الكسى ، من الازر الناعمة الرقيقة بافراط من العباءات الخفيفة الهفهافة المشغولة من

---

(63) تشير كلمة مسح كذلك الى قماش من شعر الماعز او من شعر الحمير ـ يستعمل لحياكة العباء. يقول راوولف فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ـ ص 132 ، 133) ـ واصفا هذا الزي لدى ازماعه السفر من حاب الى بغداد : « لباس يلبس فوق لباس آخر يغطي كافة الملابس ـ وهو معمول من « المسكة » : المسوح ـ وكان شائع الاستعمال لدى المغاربة والبربر . ويعمل غالبا من شعر الماعز واحيانا من شعر الحمير . وهذا اللباس ضيق لا اكمام له ـ وقصير لا يصل الى الركبتين ـ وهو يختلف عن بعضه . والفاخر منه مشغول برقة ـ خصوصا المعمول بصورة مخططة بخطوط سوداء او بيضاء ـ وكذلك المرقط ـ وبعضه الغليظ للخيم ـ ويستعمل اثناء الاسفار فى الصحاري وتتخذ منه العدول التي توضع على ظهور الحمير والبغال لحفظ علف هذه الحيوانات ـ ومنه يشد فى رقابها كما تعمل منه حقائب للصيد . وهذه الاكياس تعود بذاكرتنا الى عبور العبريين .

ونذكر بهذه المناسبة الاصحاح (37) من سفر التكوين من الكتاب المقدس وغيره :

« فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحا على حقويه وناح على ابنه اياما كثيرة » .

(64) لا ادري كيف اغفل لمؤلف قصيدة ابن العتاهية المسوحية ـ التى مطلعها :

رحن بالوشى واقبلن عليهن المسوح كل نطاح من الدهر له يوم نطوح

(المترجم)

الصوف الابيض ، المعمولة فى بغداد ـ وهي تحمل اسم المسومي Mesoumy فى قائمة الكلمات العربية المدرجة فى نهاية الكتاب .

المقلـــــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القامـوس ـ بمعنـى عمامـة .

ويقرر لين (المصريون المحدثون ـ ج 1 ـ ص 47) ان العلماء كان من عادتهم ارتداء عمامة غاية فى السعة وعلى هيئات مختلفة ـ وتسمى مقلة ـ وبعض الاشخاص الذين ينتمون الى هذه الطبقة ما يبرحون يلبسونها حتى يومنا هذا . ويتحفنا لين بصورة هذه العمامة .

المطـــر ـ المطـــر ـ المطـــرة

ان المراد ـ كما يشير الى ذلك اصل الكلمة ـ ثوب يرتدى للتوقي من المطر . وهو معمول من الصوف ـ وينص القاموس (ط كلكتا ـ ص 658) على ما يلي : « المطر والمطر والمطرة ثوب صوفي يتوقى به من المطر » .

الملاءة ـ الملاءة ـ الملايـــة

لا وجود للصيغة الاخيرة فى القاموس .

وقديما كان هذا النوع من المعطف لا يلبسه الا الرجال ـ ذلك لاننا نقرا فى كتاب الاغاني (لدى كزكارتن طرائف عربية ـ ص 130) ان المغنية الشهيرة عزة الميلاء كانت قد اكتسبت لقبها الميلاء ـ على رأي بعضهم ـ لانها كانت تلبس الملاء وتتشبه بالرجال . والواقع ان الهيئة التى يخيل الينا ان الرجال كانوا يرتدون وفقها هذا الثوب ـ والتى ما يبرحون يتبعونها حتى يومنا هذا ـ ليست مخلة كثيرا باحتشام المراة وحيائها . فنحن نقرا فى كتاب لين (المصريون المحدثون ـ ج 1 ـ ص 45) : « ان هذا الثوب نوع من المعطف الازرق والابيض ويدعى ملاية ـ ويلبس هذه الملاية كذلك بعض الرجال وعلى الاخص بعض النساء . وسنأتي على وصفها التفصيلي عند التحدث عن زي النساء ـ والرجال يطرحونها على الكتفين ـ او يلفون بها الجسم » . وجاء فى (وصف مصر ـ ج 18 ـ ص 110) : الملاية شقة من القماش القطني المخطط بخطوط زرقاء وبيضاء ـ طولها ثماني اقدام وعرضها اربع اقدام . وتستعمل استعمال المعطف (الازار) او استعمال جبة كبار رجال الكهنوت camail » .

ولا يساورني هاجس ريب فى ان بوكوك يتحدث عن هذا اللباس (وصف الشرق ـ ج 1 ـ ص 327 ـ 328) حين يقول : « وهي عادة سارية على وجه التقريب بين الاعراب والمحمديين المولودين فى هذا القطر فى ارتداء ازار ابيض او اسمر ـ وفى الصيف يتخذونه من القطن الابيض والازرق ـ ونصارى الريف يتبعون على الدوام هذه العادة . وهم يغطون الذراع اليسرى باحدى الزوايا ـ ويطرحون الثوب الى الوراء ـ ويجعلونه يمر تحت الذراع اليمني ـ ثم فوق الصدر وعلى الجسم ، ويرمى سائره على الذراع اليسرى بحيث يجعلونه يتدلى على الظهر . والذراع اليمنى تبقى مكشوفة ـ بغية استعمالها بحرية . وحين يشتد الحر وهم على ظهور خيولهم ـ يسبلون الازار على السرج ـ بحيث انه لا يغطي الا البطن الاسفل . وقد لاحظت قرب الفيوم شبانا يافعين خصوصا من سواد الشعب ـ لم يكونوا يرتدون الا هذه المعطف او الازار » .

ويخبرنا هورنمان فى كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة الى مرزوق ـ ص 21) ان الملاية يلبسها الرجال فى سيوه . ويقول الرحالة انها شقة كبيرة بخطوط زرق وبيض ـ وانها تطوى وتطرح على الكتف الايسر » . والملاية او الملاية النسائية تنتسب الى اسرة الازر الكبيرة او المعاطف الواسعة ـ التى تستر بها النساء الجسم كله (مقارنة مع كلمة شوذر وحبرة وازار وملحفة) . ويذهب لين (المصريون المحدثون ـ ج 1 ـ ص 66) الى انها نوع معطف يشبه من ناحية الشكل الحبرة ـ ويتالف من شقتي قطن منسوجتين تربيعات زرقاء وبيضاء ـ او على هيئة خطوط مائلة منحرفة ـ مشوبة باللون الاحمر فى كل طرف ... وعلى العموم فالقوم يرتدونها ارتداءهم للحبرة ـ ولكنهم فى بعض الاحيان يلبسونها لبسهم للطرحة » . ويضيف لين الى ذلك معلقا : « هناك نوع ملاية افخر وابدع ـ وهو مصنوع من الحرير ـ وله انواع متعددة ـ ولكنه قلما يلبس فى يومنا هذا . والشقتان اللتان تتالف منهما الملاية مخيطتان معا ـ كالشقتين اللتين تتالف منهما الحبرة ». (قارن من ناحية هيئة

ارتداء هذا الملبوس ــ هذا الكلام بالرسم (ص 65) في كتاب لين) .

ويذهب هورنمان (مذكرات الخ .. ص 22) الى ان النساء في سيوه يلبسن الملاية ، التي يلفعن بها الراس ويسبلنها على هيئة الازار » .

ويخبرنا بركهارت (اسفار في البلاد العربية ــ ج 1 ــ ص 339) ان نساءمكة يلبسن ملاية من الحرير المخطط بخطوط بيض مجلوبة من المصانع الهندية » . ويرى روبل (رحلة الى الحبشة ــ ج 1 ــ ص 201) ان نساء مدينة مصوع يرتدين شقة كبيرة من بز القطن ــ هي في العادة مخططة بخطوط زرق وبيض ــ وتدعى ملاية ــ وهي تغطي عادة الذراعين في اعلى الجسم » .

وهذا النوع من الازار الكبير او المعطف شائع الاستعمال ايضا في الجزيرة ــ ذلك لان بكنكهام (اسفار في بلاد ما بين النهرين ــ ج 1 ــ ص 344) يقول ــ في معرض حديثه عن نساء ماردين: «ان المحمديات والعيسويات يسترن انفسهن بشقة من البز ذي التربيعات الزرقاء تستعمل في مصر وتضفي مظهر الفقر على اللباس باكمله » . وبعد ذلك (ص 392) يعلمنا الرحالة نفسه ان نساء ديار بكر « يلبسن احيانا معطفا من القطن فيه تربيعات زرقاء ــ مثل المعطف المرتدى في معظم انحاء سورية ومصر » . وعلاوة على ذلك فيقال اليوم ملاية بدلا من ملاءة ــ مثلما يقال عباية بدلا من عباءة ــ ومراية بدلا من مرآة (بركهارت ــ الامثال العربية ــ ص 49 الخ (65) .

الملوطـــــة

لقد لاحظ فليشر :
«M. Fleischer: De glossis Habichtianis, pag. 70».

واحسن الملاحظة ــ ان هذه الكلمة ليست الا كلمة (ملوطة) التي احالها الاقباط الى (ملوتة) . ونرى من تعليق لين (الف ليلة وليلة ــ ج 1 ــ ص 485) ان المعنى بكلمة ملوطة هو الجبة ــ وكذلك يراد بها اللباس الفوقاني الواسع ــ الذى كان يلبس فوق الفرجية . فنحن نقرا في الف وليلة وليلة (ط مكناكتن ــ ج 2 ــ ص 446) : « ملوطة من الحرير ». ويعلمنا الامير رادزفيل Radzivil (زيارة اورشليم ــ ص 30) ان لباس المماليك التحتاني كان يدعى مرلوتة Marlotta وكان له كمان مفرطان في السعة . وهذا الثوب كان شائع الاستعمال ايضا في اسبانيا ــ ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) يترجم كلمات Cugulla de abito de frayle بكلمة ملوطة (66) وجمعها ملاليط ــ وفي اللغة

---

(65) تشير كلمة ملاءة كذلك الى غطاء . فنحن نقرا في الكتاب المعنون مجمع الانهر (ط القسطنطينية ــ ج 2 ــ ص 259) : « وكذا لا باس بملاءة حرير يوضع في مهد الصبي لانه ليس بلبس » . وفي كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ــ ج 1 ــ ص 111) : « ارخوا عليه ملاءة من الحرير » . وبعد ذلك (ج 1 ــ ص 361) نقرا ان امراة طاعنة في السن وسيدة شابة تبارزتا ــ فاحرزت المراة الشابة النصر ــ وطرحت العجوز ارضا : « فاقبلت الجارية ورمت عليها ملاءة من الحرير رفيعة والبستها ثيابها واعتذرت لها » . وفي موضع آخر (ج 1 ــ ص 820) اضطجع رجل لابس قميصا ومقنعا : ثم تغطى بملاءة من حرير » . وبعد ذلك (ج 1 ــ ص 821) نقرا كذلك في نفس القصة : « وكشفت الملاءة عن وجه قمر الزمان » . وبعدئذ (نفس المرجع) : « وبعد ذلك ارخت الملاءة على وجهه وغطته بها » . واخيرا (ص 827) : « وشالت ملاءة الحرير عن وجه قمر الزمان » .

(66) يقول كوبا روفياس (كنز اللغة القشتالية ــ مدريد 1611) حول كلمة Cogulla « معطف الراهب الملحق به قبع على هيئة مغزل ــ وينتهي بلسان ــ وهذا القبع يشبه اقباع رهبان شارترو والرهبان الكبوشيين . وهو في اللغة اللاتينية كوكولا Cuculla » . ومع ذلك فانني ارى ان (المعطف) Cugulla الذي ذكره بيدرو دي الكالا لا قبع له ــ نه يقول مباشرة بعد المواد المذكورة في النص Cugulla con capilla Cuculle avec un capuchon (معطف مقبع) قبيلة ــ وجمعها قبايل ــ وهذا يبرهن ــ اذا لم اكن متوهما ــ انه حينما يقول كلمة Cugulla لوحدها ــ فانه يعني بذلك : « معطفا لا قبع له » .

العربية ـ التى يتخاطب بهاسكان شبه جزيرة اسبانيا ـ كانت تشير كذلك الى الجبة ـ لان بيدرو دي الكالا يقول مباشرة بعد المادة المذكورة :Cugulla assi جبة ـ وجمعها جباب .

ويفسر المؤلف المشار اليه كذلك كلمات سايا دي موخير Saya de Muger (تنورة امراة) بكلمة ملوطة ـ وجمعها ملاليط . (وقد قلت آنفا ـ ص 87 اننى ارى ان كلمة بلوط وكلمة بلوطة ليستا سوى تحريف لكلمة ملوطة) . والواقع ان المؤرخين الاسبان القدماء يصورون لنا الفرسان والسيدات المغاربة مرتدين الملاليط في معظم الاحيان . وهم يتحدثون عن ملوطة زركش Marlotta de brocart كان يلبسها ملك غرناطة (حروب غرناطة الاهلية ـ ص 35 : « Guerras civiles de Grenada » .

وعن ملوطة من المخمل فاخرة رائعة بافراط مطرزة بالذهب كان يرتديها فارس مغربي (المرجع السالف ـ ص 36) ـ وعن ملوطة من الحرير الاملس حمراء اللون (مجموعة اغاني المتنصرين (الموريسكيين) ص 32) :

« Romancero de Romances Moriscos »

وعن ملوطة خز ثلاثية الطبقات ـ كانت تلبسها ملكة غرناطة (حروب غرناطة الاهلية ـ ص 71) ـ وعن ملوطة من الدمقس ـ كانت ترتديها سيدة مغربية (المرجع السالف ـ ص 71).

وقد حرم فيليب الثاني على النساء المغربيات ارتداء الملاليط Marlotas . (مارمول ـ ثورة المتنصرين (الموريسكيين ـ ص 35 ـ مج 1 :

(Marmol, Rebelion de los Moriscos

انظر كذلك مجموعة اغاني الموريسكيين ـ الخ.. ص 13 ـ 31 ـ 35 ـ 40 ـ 43 الخ) .

ونحن نعلم انكلمة مرلوطة Marlota ما برحت مستعملة في اسبانيا .

ويبدو ان هذا الملبوس كان يرتدي فى مالطة ايضا ـ ذلك لاننا نجد فى معجم فاسالي ـ اللغة المالطية ـ مج 455) كلمة ماوط ومؤنثها ملوطة ـ والجمع ملاليط وملوطات ـ ولكن يخيل الينا اننا نجهل هذا اليوم معنى هذه الكلمة فى هذه الجزيرة ـ لان المعجمي يضيف « نحن نجهل المعنى » :

« Car le lexicographe ajoute : desideratur significatio »

المـــــوزج

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي الكلمة الفارسية موزه ـ التى تسللت الى اللغة البيزنطية (متكساكيون ـ متكساكين) وهي فى اللغة السريانية (موقو) . وتشير الى (جزمة : (Une bottine . راجع : فليشر :

(de glossis Habichtianis, pag. 92 et l'Allgemeine Literatur-Zeitung, 1843, Ergänzungsblätter, col. 134)

ملحق جريدة عامة عن الادب لسنة 1843 .

النجـــــاف

يفسر القاموس (ط كلكتا ـ ص 1330) هذه الكلمة بانها المدرعة . (راجع هذه الكلمة) .

النخـــــاف

يفسر القاموس (7 كلكتا ـ ص 1321) هذه الكلمة بانها الخف . والظاهر انها نفس الكلمة مضافا اليها الحرف المساعد (ن) .

المنـــــدل

يذهب القاموس الى ان المندل هو الخف كذلك.

المنديـــــل (68)

لا وجود لهذه الكلمة فى القامـوس ، بالمعنـى المراد . وهي تشير الى : Le turban

1 ــ العمامة (شاش ، عمّامة) . فنحن نقرا فى اسفار اولياريوس (رحلات الى موسكوفيا وبلاد التتار وفارس ، ص 811) : « ان طواقـي الفـرس وتدعى Mendils مناديل ، فى اللغة الفارسية ، وعمائم فى اللغـة التركيـة (كلمة دلبند فارسية ، وليست تركية) هي مصنوعة من القطن او من قماش حريري آخر ناعم رفيع الخيوط له الوان مختلفة، وهم يلفونها عدة لفات ، ولها من الطول ثمانـي او تسـع

---

(68) ان كلمة منديل تعني كذلك : Un mouchoir (منديلا ، محرمة) فنحن نقرا فى عيون الأثر (مخ 340 ، ص 189) ان الرسـول (ص) كان لديه (منديل يمسح به وجهه) . وفى رحلة ابن بطوطـة (مخ دي كايانكـوس ، ص 144) : « وبكت ومسحت على وجهها بمنديل كان بين يديها». وفى تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ـ ص 288) : « فلما سمع السلطان ذلك وضع منديله على وجهه وبكى » . وفى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن، ج 1 ، ص 234) : « حط منديله على وجهه وبكى ساعة » . وفى موضع آخر (ج 1 ، ص112 : « فرميت لها تحت الفراش المنديل الذى فيه الدنانير » . ويلاحظ لين (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 424) بهذه المناسبة ، الملاحظة التالية : « هناك عادة سائدة بين الاعراب هي ان يهدوا نقودا مصرورة فى زاوية منديـل مطـرز » . وفى موضع آخر (ج 1 ، ص 607) يصـف لين منديل الشرقيين على هذه الشاكلة : « المناديل على العموم مستطيلة الشكل ، ولها حاشيتان مطرزتان بالحرير الملون المكفت بالذهب ، والحاشيتـان الاخريان محرومتان من هذه الزركشة » . ونقرا فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 568 : « منديل مطرز » . وبعد ذلك (نفس المرجع) « منديل ابيض » . وفى موضـع آخـر (ج 1 ، ص 572) : « منديل احمر » .

ويربط الشرقيون المنديل بالحزام . (اللوحة 15 ، الصورة 3 ، فى كتاب هوست ، اخبار من مراكش ، وبكنكهام ، اسفار فى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 152) . والعادة نفسها كانت سائدة بين الفرسان المسيحيين فى اسبانيا (مجموعة اشعار الموريسكيين (قصة السيد Le Cid) . واذا اعطى احدهم المنديل الى آخر فهي اشارة العفو . فنحن نقرا فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن، ج 1 ، ص 271) : « فقال اخي اراد الامان فاعطاه منديل الامان » . (راجـع تورنس ، الليالـي العربية ، ج 1 ، ص 33 ، ولين ، ج 1 ، ص 434) . وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 175) : « فقال الشاب : « العفو يا امير المومنين . اعطني منديل الامان ليسكن روعي ويطمئن قلبـي » . فقال له الخليفة : « لك الامان من الخـوف والاحسان » . وفى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 76) : » فجاءه الملك الصالـح اسماعيـل بعساكره الى القدس وصحبته الافرنج » . فارسل الى الشيخ بعض خواصه بمنديله وقال له : «ادفع اليه منديلي وتلطف به واستر له وعده بعودة الى مناصبه . فان اجـاب فايتنـي بـه وانشنك فاعتقله فى خيمة الى جانب خيمتك» . وكلمة منديل تعني :

2 ــ منشفة ، طرحة . فنحن نقرا فى كتاب ابن بطوطة (الرحلة ، مخ، ص 108) : « فاخذها (الثياب) وربطها فى منديل وجعلها فوق راسه وانصرف » . وفى تاريخ مصر للنويري (مخ2 ، ص 31) كان يرسل ــ حلوا ورغيفا فى منديل مختوم » . وفى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 255) : « فجاءتنـي بكـوز مـن الذهب الاحمر مرصع بالدر والجـوهر مـلآن مـاء ممزوجا بالمسك الاذفر وهو مغطى بمنديل من الحرير الاخضر » .

2 ــ ميدعة . راجع النص الذى نشرته من النويري حول كلمة بقيار . وتستعمل كلمة Mandil الاسبانية فى المعنى نفسه . واخيرا تشير هذه الكلمة الى الخامات بصورة عامة . فنحن نقرا فى تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ، ص 106) وتزايدت الاقوال بأنه مسموم وان زوجتـه خونـد سعادات قد سمته فى منديل عما يقال » . ويوضح الامر ابن بطوطة (مخ ، ص 95) فيقـول : « سمته فى منديل مسحته به بعد الجماع ».

أذرع ، ولها طيات وثنيات خفيفة مخيطة ومقصبة بالذهب . وطواقي رجال الدين الفرس ، وخصوصا الحفاظ ، هي خالصة البياض ، ومثلها مثل سائر ملابسهم الناصعة البياض . وبعضهم يلحقون بمناديلهم قنزعة من الحرير تتدلى على ظهورهم ، او فوق اكتافهم ، ويبلغ طولها نصف ذراع . والسادة ، اي اولئك الذين هم من سلالة الرسول ، والذين يزعمون انهم أعقابه ووارثوه ، لهم قنزعة من الحرير الاخضر في عمائمهم (69) . وهذا المعنى الذى كان لكلمة منديل في فارس ، ما زال يجري على اقلام الكتاب العرب . وقد سلف لي ان قلت حول كلمة عمامة ، ان لبس العمامة حول الرقبة كان علامة على الخضوع والولاء ، وان المتظاهرين بهذه الشارة كانوا يشهدون على انفسهم اعترافهم بالتسلط القاهر وتفويضه حق الحياة او الموت (الاحياء والامامة) فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ، ص 37) : «شاهد الغلبة فخرج الى السلطان وفي عنقه منديل». وفي كتاب ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 149) : « نزل من القامة هو وبقية النواب واخذوا في رقابهم مناديل وتوجهوا الى تمرلنك يطلبون منه الامان » . وقلت كذلك حول كلمة عمامة ، ان العمامة تستعمل لصر النقود فيها . وعلى ذلك ، فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 87) : « تذكر ان منديله وقع في القبر وفيه جملة من الدراهم » .

وكلمة منديل تشير كذلك الى :

2 ــ حزام (منطقة) . يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخطوطة دي كايانكوس ، ص 97) عن مماليك الجوهريين في تبريز : « عليهم الثياب الفاخرة واوساطهم مشدودة بمناديل الحرير » . ويقول الرحالة نفسه في معرض كلامه عن الملك هرمز (ملك هرمز؟) ص 115) : « وهو مشدود الوسط بمنديل » . وفي تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 46) نجد : « وهو مشدود الوسط بمنديل » . ونقرأ في كتاب مارمول (وصف افريقيا ، ج 2 ص 3، مج 4) وهو يتحدث عن بربر Héha في المغرب الاقصى من مملكة مراكش : يتمنطقون على جلودهم العارية بمناديل (Con unos mendiles) من نفس القماش (الصوفي (الذى يغطيهم من موقع الحزام حتى وسط الافخاذ » .

المنسرية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقرر هوست في كتابه (اخبار من مراكش . ص 119) ان نساء مراكش يلبسن 1 ــ القميص 2 ــ القفطان 3 ــ يلبس بعضهن فوق هذا الثوب منسرية Ueberzug او ميدعة surtout من تيل الكتان الرقيق » . واخيرا 4 ــ الحيك Le haïk

وقد تأيد هذا المذهب من قبل كرابر دي همسو في كتابه (المراة الخ ، ص 82) المكتوبة فيه الكلمة Monsoria ويكتبها دونباي (النحو المغربي العربي ، ص 82) منصورية ، ويترجم الكلمة بانها Indusium .

النشير

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 667) هذه الكلمة بانها المئزر . (راجع الكلمة) .

المنشف

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وقد سبق لنا ان رأينا آنفا (حول كلمة مئزر) ان الصيغة المؤنثة لهذه الكلمة هي منشفة ، وهي موجودة في اللغة العربية ، وان مؤلفين من مصر يستعملونها بمعنى Torchon, serviette منشفة .

وفي اسبانيا كانت تشير صيغة المذكر منشف الى نوع من عمرة الراس ، ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) يفسر كلمة الميزر Almaizar بكلمة منشف ، وجمعه مناشف .

راجع عن كلمة الميزر كلمة مئزر

(69) راجع (1) الاولى ان ما يقوله اولياريوس غير مطبق في ايامنا هذه ، لان الفرس يلبسون اليوم طاقية من جلد النعاج عالية ضيقة سوداء . وقد راى كيربورتس في جورجيا وفارس وارمينيا وبابل القديمة (ج 1،ص 415) عمائم كانت تلبس قديما في فارس ، في رسوم شيهل ستون (قصر الاعمدة الاربعين) .

النـــــص راس

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى دونباي (النحو المغربي العربي، ص 83) ان هذا التعبير يعني طاقية يستعملها الملاحون :
Galericulus nautarum, un petit bonnet dont se servent les matelots
وكلمة نص ربما تكون تحريفا وتشويها لكلمة نصف ، لان الناس فى المغرب ، وكذلك فى مصر (راجع لين، المصريون المحدثون ، ج 2 ص 419) ينطقون هذه الكلمة الاخيرة على هذه الصورة (راجع النحو ، ص 11) . اذن فان كلمتي نص راس تعنيان بالحرف الواحد : نصف الراس .

النطـــــاق

انني احيل القاريء الىما قيل عن هذا النوع من اللباس من قبل العلامة سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية ، ج 2 ص 303 ، 304) . ونحن نقرأ فى شرح الحماسة للتبريزي (ص 38) : وذات النطاقين ، اسماء بنت ابي بكر ، ويسمي البخاري (الصحيح ، ج 2 ، مخ 356 ، ص 168) هذه المراة : ذات النطاقين ، ويشرح لنا لماذا منح اللقب هذا لابنة ابي بكر ، وذلك بالكلمات التالية : « فجهزناهما احب الجهاز وصنعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فاوكات به الجراب ولذلك كانت تسمى ذات النطاقين » .

المنطـــق ، المنطقـــة

تشير هاتان الكلمتان الى الحزام ، ولكنه دائما حزام من الذهب او الفضة . فاننا لن نقرأ ابدا عن منطق او منطقة من الجلد او من القماش ، ايا كان نوع هذا القماش. وبالرغم من تحريم التحلي بالذهب او الفضة على الرجال ، فان الشريعة قد احلت لهم التمنطق بمنطقة من الفضة او الذهب . فقد روي فى ملتقى الابحر (مخ 1211 ، ص 164) : « ويجوز للنساء التحلي بالذهب والفضة ولا يجوز للرجال الا الخاتم والمنطقة وحلية السيف) . ويلاحظ شارح (مجمع الانهر ، طبعة القسطنطينية ج 2 ، ص 259) على هذه الكلمات الملاحظة التالية : « والفضة اغنت عن الذهب لانهما من جنس واحد ». ومن كلمة منطق تالف فعل تمنطق . فنحن نقرأ فى رسائل ابن الخطيب (مخ 11 ، ص 21 : « قد تمنطقوا فوق الاقبية الديباجية » .

النـــعـــــل

لقد سبق لهامر ــ بركستال فى « كتاب فيينا السنوي ــ ج 69) ان برهن بصورة مقنعة للغاية ان كلمة نعل تعني صندلا ــ خفا
Une sandale
وليس انواعا اخرى من الاحذية . وبوسعكم مشاهدة شكل الخفاف العربية فى كتاب نيبور (وصف الجزيرة العربية ــ اللوحة 2) . وحين يتحدث تيرنر فى كتابه (يوميات جولة فى المشرق ــ ص 428 ــ ج 2) عن بدو صحراء مصر ــ نقرأ ما يلي : «يمشون حفاة الاقدام ــ ولكنهم فى مناسبات اخرى يلبسون النعال ــ المصنوعة من جاود الجمال الفجة ــ وهم يربطونها بشراكين يمر الاول منهما على وسط القدم ــ والآخر بين الابهام والسبابة من القدم . وقد اشتريت فردتين من هذه النعال فى السويس من غلام عربي صادفته محتذيا من شاكلتها ــ ولكنها كانت ترد من الحجاز وكانت مزركشة زركشة تفوق زركشة النعال العادية » . ويخبرنا بركهارت (اسفار فى البلاد العربية ــ ج 1 ــ ص 336) ان رجال مكة يلبسون « نعالا بدلا من الاحذية. وافخر النعال تلك الواردة من اليمن ــ حيث يبدو ازدهار كل الصناعات الجلدية » .

ويظهر ان نعل الرسول (ص) او خفه (صندله) كان من انفس المخلفات المباركة . فنحن نقرأ فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ــ ص 51 و 52) : « ومما حكاه ابو المظفر ايضا ــ قال « كنت عنده بخلاط . فقدم النظام بن ابي الحديد ومعه نعل النبي (ص) . فاخبرته بقدومه . فاذن بحضوره . فلما جاءه ومعه النعل قام ونزل من الايوان واخذ النعل فقبله ووضعه على عينيه وبكى . وخلع على النظام واعطاه نفقة واجرى عليه جراية وقال : « يكون فى الصحبة نتبرك به » . ثم عزم على اخذ قطعة من النعل تكون عنده . قال بعد ذلك : « لما عزمت على ذلك بت متفكرا وقلت : « ان فعلت هذا فعل غيري مثله فيتسلسل الحال ويؤدي الى استئصاله . فرجعت عن هذا الخاطر وتركته لله . وقلت : « من ترك

شيئا له عوضه الله خيرا منه » . ثم اقام النظام عندهم شهورا ومرض واوصى لي بالنعل . ومات واخذته بأسره . ولما اشترى دار قايماز النجمي وجعلها دار حديث ترك النعل فيها ونقل اليها الكتب الثمينة واوقف عليها الاوقاف » .

وفي عام 711 نجد نعل الرسول (ص) في دمشق — ذلك لاننا نقرأ في مجلد آخر من تاريخ النويري (مخ 2 — ص 57) : « اخرج الخطيب جمال الدين القزويني المصحف الكريم العثماني ونعل النبي (ص) » . وبعد ذلك (ص 57) : « وسقط المصحف الكريم والنعل المكرم النبوي الى الارض والصناجق ثم رفعت واعيدت الى البلد » . (وقد حدث ما توقعه الملك الاشرف وخافه — فان نعل الرسول (ص) اصابه ما اصاب المخلفات المباركة الاخرى : « فقد شمله التقسيم » .

ونحن واجدون في تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 — ص 429) ان قطعة من نعل الرسول (ص) كانت بحوزة احد قضاة مصر عام 843 .

ويظهر ان العرب القدامى قد استعملوا هذا المثل « هي النعل زلت بي » . راجع فيرس (ابن خاقان عن ابن زيدون — ص 28 — وتعليق العالم الناشر — ص 96) .

ويقول المصريون في ايامنا هذه : « تاخذ من الحافي نعله » اي تدمره كليا (بركهارت — الامثال العربية — ص 162) (70) .

النقاب

اننا حتى هذه اللحظة لم نقع على اية كلمة تصلح لتعيين خمار المراة ، الذي كان يحدث فيه نقبان في موضع العينين . على ان خمارا او برقعا او حجابا او نقابا من هذا النوع لابد ان يكون معروف الاستعمال سابقا ، وذلك لان الرحالين قد تناولوه في كتبهم . وعلى هذا فان فعل نقب في اللغة العربية و (بوشي) في اللغة العبرية يعني كل منهما Perforavit في اللغة اللاتينية . فمن الطبيعي كل الطبيعي ، والحالة هذه ، ان تستطيع كلمة نقاب التعبير عن هذه الكلمات : « Velum cui sunt foramina »

والواقع ان ابن جني يؤكد الامر بصورة قاطعة ، في قوله (شرح ديوان المتنبي ، مخ 126 ، ص 220): «النقاب ان تعمد المراة الى برقع فتنقب منه موضع العين» . ونحن نقرأ في قصة رحلة فان خيستلا ، ص 23) : « ان نساء الريف يضعن امام وجوههن شقة قماش لها ثقبان تستطيع ان تنظر منهما » . ويقول بلون كذلك في كتابه (ملاحظات ، ص 233) : ان مظهر القرويات الاعرابيات والمصريات هو نقاب من اقبح ما وجد من انقبة : ذلك لانهن يضعن على عيونهن حجابا من تيل القطن الاسود او من لون آخر يتدلى على وجوههن حتى الاذقان ، فكأنه كمامة آتية من الطبقة العليا او كأنه عثنون صغير ، ولكي ترى النساء طريقهن من خلال هذا الحاجز المنسوج ، يحدثن نقبين في موضع العينين ، بحيث انهن في هذه اللبسة المضحكة يشبهن اولئك الذين يتصارعون يوم الجمعة المقدس في روما او في مدينة افنيون (عاصمة البابا القديمة في فرنسا) . (مقارنة مع بيترو دو لا فاله ، الرحلة ، ج 1 ، ص 330 . ويقول الامير رادزيفيل (زيارة اورشليم ، ص 187) في معرض حديثه عن بنات الريف : « ينحصر نقابهن في قطعة من تيل القطن مفتوح فيه نقبان في موضع العينين (Foraminibus pro oculis excisis) والريح ترفع بسهولة هذا النقاب ، فلا تبقى هناك صعوبة تحول دون رؤية وجوههن » . ونقرأ في الكتاب المعنون (قصة رحلة في مطلع عام 1610 ، ص 209) : ان نساء الريف يسترن وجوههن بقطع من البز ، قريب منظرها من منظر Beastly clouts ولهذه الخمور نقوب أما العيون « .

« Se couvrent le visage de pièces d'étoffes, horribles à voir »

وفي قصة كوبان ، درع أوروبا ، ص 219 : « تتبرقع بنات الموسرين بانقبة حريرية حمراء واما بنات الفقراء فلا يتبرقعن الا بالتيل الابيض او الازرق، وهذان النوعان من الخرق لهما فتحات صغيرة امام العيون لتستطيع الاناث المتبرقعات بها ان يمشين في طريقهن » .

وهذا النوع من النقاب كانت ترتديه نساء البدو في مصر ايضا . فنحن واجدوه في قصة هيلفريتش (تقرير واقعي موجز للرحلات ، ص 387):

(70) لا تعني كلمة حاف حافي القدمين فحسب — بلْ معنى الحفاء اي الوجى — وهو وجع القدمين من كثرة المشي .

« انهن يبرقعن وجوههن بقطعة من القماش المفتوح فيها ثقبان ، ليستطعن رؤية مواقع اقدامهن » . ويقول روجيه في كتابه (الارض المقدسة ، ص 208) في معرض حديثه عن نساء البدو في سورية : « يضعن على وجوههن قطعة من قماش مثقوبة في موضع العينين » . ويخبرنا الرحالة الاندلسي ابن جبير ان النساء الصقليات : (انتقبن بالنقب الملونة) وكان المرابطون يضعون النقاب فوق اللثام ، بحيث لا يستطيع الناظر اليهم ان يرى منهم الا محاجر عيونهم . ويبدو ان هذا النقاب لديهم كان عصابة Bandeau (انظر البكري، في ملاحظات ومقتبسات، ج 12 ، ص 633 ، كاترمير ـ العلامة المترجم .

النقبـــــة

النقبة شبه سروال المراة او تبانها ، وهي مزودة بمجرى لامرار القيطان فيه ، وهذا اللباس ليس له هيئة التبان ولا تغطى به الافخاذ . (راجع التبريزي ، شرح الحماسة ، ص 682 ـ لدي فريتاك) . ويذهب الزمخشري :
(Lexicon Arab. Pers ; part. I, pag. 62)
مقدمة الادب ، الى ان هذه الكلمة تعني منطقة (ميان بند) .

النقيـــــة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

يقرر بركهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين ، ص 29) « ان النساء لدى البدو يغطين نصف الوجه بخمار ملون لونا غامقا ، يدعى نقيبة Nekye ، وهو يشد بصورة يغطي معها الذقن والفم » .

النمـــرة

لابد ان هذه الكلمة تشير الى شبه برد ، ذلك لاننا نقرأ في الباب المعنون : باب البرود والحبرة والشملة ، للبخاري (الصحيح ، ج 2 ، مخ 366 ، ص 168) الحديث التالي : قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدخل الجنة من امتي زمرة هي سبعون الفا تضيء وجوههم اضاءة القمر » . فقام عكاشة بن محصن الاسدي يرفع نمرة عليه . فقال : « ادع الله لي يا رسول الله ان يجعلني منهم » . فقال : اللهم اجعله منهم » . ثم قام رجل من الانصار . فقال : « يا رسول الله : « ادع الله ان يجعلني منهم » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سبقك عكاشة !!» .

النيـــــرة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقص علينا ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كاياتكوس ، ص 225) انه لدى وقوعه اسيرا بأيدي كفرة الهند ، غدا مدينا بحريته لشاب هندي . ويضيف قائلا : « فاخذت الجبة التي كانت علي واعطيتها اياه واعطاني منيرة بالية عنده وارائي الطريق » . والصفة منير ، التي مؤنثها منيرة ، تعني فيما تعنيه Grossier ، ما هو غليظ ، في معرض الحديث عن جلد . لذلك ارى ان منيرة ، حين ناخذها من جهة الوصفية ، تشير الى نوع كساء غليظ .

الهـــدون

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تشير في المغرب الى كساء من الصوف (دونباي ، النحو المغربي العربي ، ص 83) .

الهميـــان

يبدو ان هذه الكلمة لا تستعمل الا في معرض الحديث عن منطقة تتخذ لصر النقود . فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كاياتكوس ، ص 47) : وكان في وسطه هميان فيه ذهب . وفي كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 267) : وجلس اخي وهو طائر من الفرح بالدنانير ثم صرها في الهميان . وهناك بيت لابي بكر بن اللبانة (تاريخ بني عباد ، ج 1 ، ص 70) يبرهن برهنة واضحة على ان كلمة هميان تعني بصورة خاصة منطقة توضع فيها النقود . فهذا الشاعر يزور مولاه القديم في سجنه ، الا وهو المعتمد ملك اشبيلية ، العاثر الجد ، فيشده لرؤيته رازحا في الاغلال ، فتطير نفسه شعاعا وينبعث بهذا البيت (البسيط) :

غلطت بين همايين عقدن له
وبينها فاذا الانواع اشتات

فالشاعر يقارن بين همايين الامس واغلال اليوم .

وربما كان هذا الهميان من الجلد .

الوسطانية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولعلها كساء يشبه التحتانية والفوقانية (راجع هاتين الكلمتين) . ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 259) في حديثه عن سومطرة : اخرج ثلاثة من الشباب مختلفة الاجناس يسمونها التحتانية من جنس الفوط .

الوشاح

يذهب المعجميون العرب الى ان الوشاح هو منطقة عريضة من الجلد ، مزركش بالاحجار الكريمة تلبسه النساء . (ضع مقايسة مع تعليق دي كايانكوس ، تاريخ السلالات المحمدية في اسبانيا ، ج 1 ، ص 409) ونحن واجدون لدى المتنبي (الديوان ، مخ 542 ، ص 82) البيت التالي (الوافر) :

ترفع ثوبها الارداف عنها
فيبقي من وشاحيها شسوعا

لفهم هذا البيت ينبغي ان نتذكر ان العرب يحبون كثيرا لدى النساء ضخامة الاعجاز . فكلمة ثوب تشير هنا الى الازار الكبير الذي ترتديه النساء في الشرق لدى شخوصهن من منازلهن . والشارح الواحدي يفسر كلمة وشاحين على هذا المنوال : يريد بالوشاحين قلادتين تتوشح بهما المراة . ترسل احداهما على جنبها الايمن والاخرى على الايسر . ولكن هذا الشرح لا يشفي غليلي .

والشعراء العرب يستعملون تعبير ذات الوشاح للاشارة الى المراة . فهناك بيت لابن حمديس الصقلي (في اخبار الملوك ، مخ 639 ، ص 168) يروى على هذه الصورة (السريع) :

قم هاتها من كف ذات الوشاح

وتذهب المعاجم العربية الى ان هذا النوع من الحزام لا تتمنطق به الا النساء . ومع ذلك فنحن نقرأ للفتح بن خاقان في كتابه (تاريخ بني عباد ، ص 44) في معرض الحديث عن فتى : وقد توشح وكان الثريا وشاحه . وفي موضع آخر من قلائد العقيان ، مخ 306 ، ص 84) : ملوك لم يتوشحوا الا بالحمائل . انظر كذلك ابا الفداء (ج 2 ص 179 — وراجع حول الجمع اشاح الشارح في طرائف عربية لسيلفستر دي ساسي ، ج 2 ص 390 ، تع (68).

الوقاية

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 549) السيدارة بالوقاية تحت المقنعة والعصابة . اذن فالوقاية شبه طاقية . وفي لب الالباب (ص 275) تفسر كلمة وقاية بكلمة مقنعة .

اليلك

لا وجود لهذه الكلمة التركية الاصل في القاموس .

ونحن نقرأ بعد مادة الصديري في بحث الكونت دي شابرول (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108) : «اليلك مشد Corset آخر ، او صدرية اخرى ، للمماليك ، وهو واسع ، قصير ، وله كمان في غاية الطول والفضفضة » . فهو ، دون ادنى ريب ، الصداري Gilet القصير ذو الكمين الذي جاء على وصفه بوكوك Pocoke في كتابه : وصف الشرق (ج 1 ، ص 327 ، اللوحة 58
(Bes chrijving van het Oosten, M,

واليلك يلبسه كذلك سكان بلاد البربر في طرابلس ، ذلك لاننا نقرأ في الكتاب المعنون (قصة اقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب ، ص 3)
(narrative of a ten years residence at Tripoli in Africa)

« كان الوزير الاول يرتدي يلكا ، او سترة من الاطلس القرميزي ، المطرز بالذهب من جانب الصدر، وهذا الثوب بمثابة صدرية ، شائلة من الامام والوراء ، وهو يرتدى بادخال الراس من فتحة تقور

من الجهة العلوية » . (انظر كذلك المرجع السابق ، ص 31 ، 38) .

ويفسر الكونت دي شابرول (ص 112) اليلك، في معرض حديثه عن ازياء النساء ، بانه « ثوب يلبس فوق القميص ، وهو مفتوح من الامام ، وله كمان ضيقان » .

والوصف التالي للمؤلف لين (المصريون المحدثون ج 1 ، ص 58) فيه تفصيلات اطول واعرض ، اذ يقول : « وهم يرتدون فوق القميص والشنتيان سترة طويلة تسمى اليلك ، مصنوعة من انفس اقمشة الشنتيان . وهي تكاد تشبه قفاطين الرجال ، ولكنها تضغط الجسم والذراعين ضغطا اشد ، وكذلك فان كمي اليلك اطول ، وهو مفصل بشكل يسهل تزريره من الجهة الامامية ، من الصدر حتى الحزام ، او الى اسفل من ذلك ، في حين ان القفطان يصلب على الصدر ، وهو كذلك مفتوح من الجانبين من الخصرين الى الاسفل وعلى العموم فان اليلك مفصل بشكل يسمح بكشف نصف الصدر ، ولكن نصف الصدر هذا مغطى بالقميص ، ومع ذلك فان كثيرا من السيدات يلبسنه اوسع في هذا الجزء من الجسم . ووفقا لهندام الساعة السائد المستحسن يجب ان يكون طوله كافيا لملامسة الارض ، بل يجب ان يكون اطول من ذلك ثلاث عقد او نيف » . قايس هذه الصور الخطية بالشكل المرسوم في كتاب لين ، ص 57 ، واللوحة 26 في مصور رحلة اوليفييه .

LE MARKETING AIDE L'ENTREPRISE A S'ADA PTER AU CHANGEMENT

CLIENT
DECIDEUR, PRESCRIPTEUR
ACHETEUR, CONTROLEUR

INTERMEDIAIRE
GROSSISTE
INSTALLATEUR
TRANSFORMATEUR

ETUDE MARKETING

PRODUIT
OFFRE
prix, barème
marque...

COMMUNICATIONS
Publicité
Promo ventes
Assistance technique
Relations Publiques
Force Vente

LOGISTIQUE
Dépôt
Stock
Livraison physique

RECHERCHE
ET DEVELOPPEMENT

PRODUCTION

Product mix

Marketing mix

Structure
Plans

Buts
Objectifs

Marchés
Nationaux

Concurrents

Concurrences

Marché
Européen

Réglementation
Lois

Canaux de distribution

Style
de vie
Economie

Technologie

Facteurs maîtrisables Marketing

Organisation
Gestion

Environnement

Facteurs non-maîtrisables

Ça évolue

Offre :
- caractéristiques
- prix
- conditionnements
- marques
- services liés au produit

Communication :
- force de vente
- publicité